الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

المفهوم الثقافي للثورة في فكر مالك بن نبيّ رواية"لبيّك حجّ الفقراء أنموذجا"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية
تخصص: أدب جزائري
مقدمة من قبل:
أميرة بريمة
تاريخ المناقشة: 2019/07/06
لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
نادية موات	أستاذ محاضر قسم "أ"	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
ميلود قيدوم	أستاذ محاضر قسم "أ"	مشرِفا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
فوزية براهيمي	أستاذ محاضر قسم"ب"	ممتحِنا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية:
1440/1439هـ

2019/2018م

المقدمة

مقدمة :

يعتبر موضوع الثقافة موضوعا من المواضيع المتداخلة مع عدّة مجالات ، مثل الهوية ، التراث و التاريخ ..، فالثقافة تعني طريقة تفكير المجتمع وأسلوب عيشه ، تقدمه و تخلّفه ، إذ تعتبر مصطلح يثير الكثير من الأسئلة كالسؤال عن الكينونة و المكانة الاجتماعية ، والاستفسار عن الماضي وعن المصير، وهو ما دفعنا لطرح إشكالية كانت سببا رئيسا في بحثنا هذا ، وهي التساؤل عن الوضع الثقافي للجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي وهل قامت الجزائر بثورة مسلّحة فقط أم بثورة فكرية ثقافية ، نستطيع اكتشافها من خلال مجموعة من الكتابات والأعمال الفنية ؟ ، هذا التساؤل دفعنا للبحث عن إجابات والبحث كذلك عن مفكرين جزائريين عايشوا أجواء الاستعمار والثورة وحتى الاستقلال ، فوقع اختيارنا على **"مالك بن نبي"** باعتباره مفكّر تحققت فيه هذه المواصفات ، ولم نكن نعلم أنّ **"مالك بن نبي"** وضع إجابة لتساؤلاتنا بطريقة فنيّة ، إلاّ أنّ روح البحث والقراءة جعلتنا نكتشف أنّ **"بن نبي"** قدّم للأدب والفن بعض من الأعمال الإبداعية ، كانت ذات قيمة فكرية عبّرت عن واقع الجزائر الفكري والاجتماعي أثناء الاستعمار، فاكتشفنا بعد قراءتنا لأعماله غير الأدبية ، أنّه قاص وروائي واخترنا رواية **"لبيك حجّ الفقراء"** موضوعا لبحثنا وإجابة لتساؤلنا من خلال تحليلها ، نبحث من خلالها عن بعض الإيديولوجيات التي يبعث **"بن نبي"** ، ولأنّ بالثقافة نتعرّف على الكثير من الشعوب وعلى مكانتها الاجتماعية وعقلياتها وإيديولوجياتها ، وعن نقاط القوة والضعف في مجالاتها الحياتية : الاقتصادية والسياسية والثقافية والفكرية .. ،فقد كان هذا أول سبب في اختيارنا لموضوع البحث ، والذي جعلنا نتساءل عن الثقافة ومدى أهميتها في ثورات الشعوب الفكرية فاخترنا **"مالك بن نبي "** الذي استطاع الإجابة عن جميع استفساراتنا ، ولأننا ندرس الأدب اخترنا أن ندرس هذا الموضوع من خلال أعماله الإبداعية ، فاخترنا تحديدا رواية **" لبيّك حجّ الفقراء أنموذجا "** ، لنحاول من خلالها أن ندرس **"المفهوم الثقافي للثورة"** من منظور **"مالك بن نبي"** ، من بين الأسباب كذلك التي دفعتنا لاختيار هذا المفكر وهذا البحث ، هو أننا من الشريحة القارئة لهذا الكاتب ، وأفكاره التي يطرحها في كتبه تتناسب مع ميولاتنا الفكرية ، كذلك انتبهنا إلى فكرة أنّ هذا المفكر مهمّش كذلك ، وغير معروف كأديب حتى لدى الطبقة المثقفة من المجتمعات ، فالمشهور عليه أنّه فيلسوف وليس روائي أو قاص ، هذا دافع وسبب أساسي دفعنا للتعريف به و بفكره الأدبي ، ومن بين الأسباب كذلك أنّ المكتبة الجامعية بحاجة للتعمق في دراسة مثل هذه المواضيع ، التي تتمحور على الثقافة ومدى أهميتها في تكوين المجتمعات ، كما أن التطرق للبحث في موضوع جديد كان سببا رئيسيا في اختيار موضوعنا هذا ، وفعلا تطرّقنا لموضوع جديد ودرسنا هذه الرواية التي لم تدرس من قبل ، وعرّفنا بـ **"مالك بن نبي"** الأديب ، وقد قسّمنا البحث إلى مدخل وفصلين في المدخل المعنون بـ**"مالك بن نبي حياته وفكره "** ، ودرسنا فيه العناصر التالية :

1)حياة مالك بن نبي بين النشأة الاجتماعية والفكرية :

1)النشأة الاجتماعية .

2)النشأة التعليمية .

عرّفنا في هذا المدخل بطفولته وتربيته وإنتاجه الفكري ، ملخصين المؤلفات الأدبية والتي من بينها الرواية المعتمدة في هذا البحث ، معتمدين على بعض المصادر من بينها : **"مذكرات شاهد القرن"** لـ **"مالك بن نبي"** ، **"لبيّك حجّ الفقراء"** رواية للمؤلف نفسه ، وعلى بعض المراجع من بينها : **"فنّ السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي"** مقال لـ **"عبد المجيد البغدادي"** ، **"معجم علم الاجتماع"** لـ **" دينكن ميشيل"** .

أما الفصل الأول الذي عنوانه بـ **" فكر مالك بن نبي ين الثقافة والثورة "** درسنا فيه :

1)مفهوم الثقافة عامة :

2) مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي .

3)مفهوم الثورة من منظور مالك بن نبي .

شرحنا من خلال هذه العناصر العلاقة القائمة بين الثقافة والثورة ، ومدى إمكانية تحقيق فكرة النهوض بالأمة حضاريا ، معتمدين في ذلك بعض المصادر المؤلفة من قبل **"مالك بن نبي"** من بينها : كتاب **"من أجل التغيير"** ، **"تأملات"** ،**"شروط النهضة"** ، وبعض المراجع منها : **"التربية الحديثة مادتها مبادئها تطبيقاتها العملية"** لـ **"صالح عبد العزيز"** ، **"فكر مالك بن نبي القابلية للاستعمار"** مقال لـ **"نورالدين بوكروح"** .

أما الفصل الثاني الذي عنوانه بـ **" التمثلات الثقافية معادل ثوري نهضوي "** ، والذي درسنا فيه :

1)الأنساق الثقافية على مستوى العتبات النّصية .

2) الأنساق الثقافية على مستوى المتن .

3)-قدسية الحلم.

4)-الهوية والتراث كنسق ثقافي .

5-شعرية الأسماء.

بيّنا من خلال العناصر المدروسة في هذا الفصل: أنّ **"بن نبي"** أشار في روايته إلى عدّة مواضيع ، والتي تجسدت في أنساق ثقافية عبّر من خلالها المؤلف عن إيديولوجياته الفكرية ، و شرح فيها وجهة نظره حول المفهوم الثقافي للثورة ، من خلال هذه الأنظمة والأنساق و التمثلات الثقافية ، وقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الفصل على بعض مصادر من بينها : وهو : **" القرآن الكريم "** ، رواية **" لبيّك حجّ الفقراء "** لـ **"مالك بن نبي"** وعلى بعض المراجع منها : **"خطاب الهوية"** لـ **"علي حرب"** ، **"ضوابط الرؤيا"** لـ **"محمد بن فهد بن إبراهيم الودعان"** ، **"جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية"** لـ **"طالب أحمد"**، **"مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة"** لـ **"زايد عبد الصمد"** .

اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج النقد الثقافي ، ومن خلال هذا المنهج حاولنا استخراج الأنساق الثقافية ، لأنّ النقد الثقافي يتأسس على فكرة الأنساق الثقافية و التي تكون ذات رسالة ، تفضح المسكوت عنه وتعبّر عمّا هو مهمّش ، وقد ناسبت موضوع بحثنا الذي يقوم على فكرة الثورة الثقافية كنظام ونسق ثقافي مهمّش أثناء الفترة الاستعمارية ، وقد اعتمدنا على بعض المراجع الخاصة بالمنهج الثقافي منها : **"النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية "** لـ **"عبد الله الغذامي"** ، وكتاب **"جماليات النقد الثقافي نحو رؤية الأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي"** لـ **"أحمد خمّال المزاريق "**.

ثم ختمنا البحث بخاتمة كانت عبارة عن ملخّص لما استنتجناه من هذا البحث ، وبطبيعة الحال واجهتنا عدّة صعوبات من بينها : قلّة المراجع التي تدرس المؤلفات الأدبية لـ **" بن نبي"** لأنّه كما قلنا سابقا المفكّر غير معروف أدبيا ، فهو معروف كفيلسوف وعالم اجتماع فقط ،بعد المكاتب التي تحتوي على كتب مالك بن نبي واعتمادنا على الكتاب الإلكتروني بالدرجة الأولى ، فهناك بعض الكتب غير منشورة على شبكة الإنترنيت .. ولكن بعض هذه الصعوبات تعدّ من النقاط التي تحسب في صالحنا ، فهذا الأمر يدرج البحث ضمن قائمة البحوث التي تتسم بالجدّة .

أخيرا نتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف **"ميلود قيدوم "** ، الذي كان له الدوّر الفعّال في مراعاة الجانب النفسي للطالب ، لم نشعر معه بالتوتر والقلق إطلاقا بالعكس منحنا الراحة النفسية التي دفعتنا لمواصلة البحث بكل متعة وشغف ، كذلك قدّم لنا الكثير من النصائح لتجنب الأخطاء التي وقعنا فيها وقد عملنا على تفاديها ، وقد كان صبورا جدا علينا نشكره جزيل الشكر، كذلك نشكر كل من ساعدنا بالنصيحة ، بالابتسامة ، بالمراعاة شكرا لكم جميعا .

المدخل :

مالك بن نبي حياته وفكره

تمكّن **"مالك بن نبي"** من الكتابة والتأليف في علوم شتى ، فكتب في علم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والسياسة وحتى الأدب ، وما يهمّنا في هذه الدراسة هو **"مالك بن نبي"** الأديب ، فالمشهور عن هذا المفكّر أنّه فيلسوف أو عالم اجتماع لكن **"مالك"** القاصّ أو الروائي غير معروف ، هذه النقطة بالذات تدفعنا للاستفسار كيف قدّم **"مالك بن نبي"** فكرا بطابع أدبي فني ؟ فأول كتاباته كانت كتابات أدبية ، وقد أكدّ **"زيدان خوليف"** هذه الفكرة عندما قال : **"إنّ مالك بن نبيّ لم يكن يسعى لأن يكون مفكرا يدرس مشكلات مجتمعه وينظر إليها بقدر ما كان ساعيا لأن يكون كاتب قصة "**[1] ، ففي بدايات تأليفه للكتب ألّف أول رواية له ، إبانّ الاستعمار الفرنسي للوطن الجزائري والتي وسمها بعنوان **"لبيّك حج الفقراء"** ، وقد ألّفها سنة **1947**باللغة الفرنسية ، وكانت الرواية الأولى والأخيرة له ، وربما تعدّ هذه الرواية الجزائرية من بواكير الأدب الجزائري ، وهذا الأمر الذي أغفله الكثير من النقاد إذ تكاد تكون منعدمة الدراسات النقدية التي تدرس هذه الرواية أو تدرس **"بن نبي"** الأديب .

هذا التشعب والثراء العلمي أعطى لـ**"بن نبي"** مكانة علمية قيّمة في توجيه المجتمع الجزائري فكريا ، لينتج الكثير من الكتب في فترات زمنية متتالية ، كانت عبارة عن كتب متنوعة من ناحية النوعية والجودة ، ولفكر **"بن نبي"** خلفيات ومناهج بطبيعة الحال تختلف من كتاب إلى كتاب آخر ، ساهمت في الإنتاج الوفير للكتب ، وكانت هذه الخلفيات متصلة بحياة المفكّر الاجتماعية والتعليمية ، إذ تعطي هذه الخلفيات فكرة عامة عن منطلقات الكاتب وعن إيديولوجياته الفكرية التي طرحها فيما بعد على شكل كتب غايته الوحيدة منها هو نشر فكرة التوعية الفكرية الثقافية .

1حياة مالك بن نبي النشأة الاجتماعية والفكرية :

1)النشأة الاجتماعية :

لأنّ النشأة الاجتماعية لها الدور الفعّال في توجيه سلوكات الفرد و تأطيره والتحّكم في مصيره ، وتعدّ من أهم العناصر التي تدرس من أجل معرفة منطلقات وخلفيات الكتّاب ، فالتنشئة (Socailization)تعرف في علم الاجتماع بأنّها "عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه حتى يتمكّن من إشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي "[2] ومن هذا المنطلق كان لابد من رصد أهم العناصر التي ساعدت على تنشئة **"مالك بن نبي"** اجتماعيا وفكريا :

[1] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ترجمة زيدان خوليف ، دار الفكر ، سوريا دمشق ،ط 1 ، 2009 ، ص21.
[2] دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان محمد الحسن ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980، ص328.

أ)العائلة :

"كان مولدي في الجزائر عام 1905"[3] تحديدا في الأول من نوفمبر ،وهو من أصل قسنطيني ، ومولده في هذا العام لم يكن هكذا عبثا ، بل حتى العام الذي ولد فيه **"بن نبي"** ساهم في بنائه الفكري والثقافي يقول في ذلك معلقا على السنة التي ولد فيها : **" في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي فيه حيا من شهوده ، والإطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده "**[4] ، لنقل أنّ الرجل مخضرم عايش الاستعمار منذ بدايته وعايش الاستقلال وفترة ما بعد الاستقلال ، وقد عاد هذا العمر عليه بالنفع الشديد وقد انتبه المفكّر لهذا الأمر **" فقد استفدت بامتياز لا غنى عنه لشاهد ،حينما ولدت في تلك الفترة "**[5] ، إذن فالمفكر شاهد عيان لكل الأحداث التي دارت بالوطن الجزائري اسمه الكامل **"مالك الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي"** قسنطيني النشأة والمولد .

ترعرع **"بن نبي"** في أسرة كبيرة وذات جذور عريقة ، مكونة من أم الجدة والجدة والأم وامرأة العم والعم والأب والجد والإخوة يقول **: "فقد عرفت في عائلتي جدة لي الحاجة "بايا" عمّرت حتى جاوزت المائة وماتت حين كان لي من العمر ثلاث سنين أو أربع لم أعرفها بما فيه الكفاية . غير أنّها أورثت العائلة الكثير من ذكرياتها ومشاهداتها القديمة التي انتقلت بالتالي إلي "**[6] ، أما الأسرة من الناحية الاقتصادية فقد كانت ميسورة الحال نستطيع أن نقول إنّها فقيرة فقرا مدقعا ، **" كنت في السادسة أو السابعة من عمري ، وكان وضع عائلتي قد ساء ماديا، فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة "** [7] ، لم يتربى **"بن نبي"** في منزل والده ووالدته ، بل عاش في بيت عمه وهذه الأسرة هي الأخرى كانت فقيرة **" مات عمي الأكبر في قسنطينة ، وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجه تعيدني إلى أهلي في تبسة مما خلف ذلك أسى في نفسي ونفسها فقد فعلت ذلك لأنّ مواردها لم تعد تسمح بإعالتي"**[8] ، أما أسرته الصغيرة فقد كانت مكونة من خمسة أفراد (أب وأم ، مالك وشقيقتيه) ، في **"مذكرات شاهد القرن الطفل"** يذكر **"مالك بن نبي"** سيرته الحياتية ولا أصدق من كاتب يعرّف بنفسه للعالم قد تكذب جميع الأقلام أمام من يعرّف ويكتب عن نفسه ويتحدث عنها بصيغة الأنا والآخر وفي كتاب **"مذكرات شاهد القرن"** يظهر ذلك جليّا لمن أراد التعرف عن سيرة **"بن نبي"** الذاتية أكثر فأكثر.

---

[3] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن القسم الأول الطفل القسم الثاني الطالب ، دار الفكر ، سوريا دمشق ، ط2 ، 1984 ، ص15.

[4] المصدر نفسه ، ص15.

[5] المصدر نفسه ، ص 15.

[6] المصدر نفسه ، ص15

[7] المصدر نفسه ، ص 16.

[8] المصدر نفسه ، ص 18.

وعليه فقد تربي **"مالك بن نبي"** في عائلة جزائرية أصيلة محافظة على العادات والتقاليد والهوية الجزائرية ومناهضة للاستعمار وثقافته الدخيلة ، وفقيرة من الناحية المادية وإنّ دلّ ذلك على شيء إنّما يدلّ على واقع الجزائر ككل إبّان الاستعمار فما هي إلاّ نموذج مصغّر عن المجتمع الجزائري وما يحدث فيه .

ب)المدن :

للمكان أهمية كبيرة في بناء الشخصيات ، وكل شخص تطبع فيه صفات تجعله ينتمي إلى مكان معين دون غيره ، فالبيئة الجغرافية تقوم ببناء وتكوين الشخصية عقائديا ، فكريا ، جسديا وعرقيا وقد تعددت البيئات الجغرافية التي عاش فيها **" بن نبي "**نذكر منها :

1)قسنطينة :

ولد بن نبي في مدينة **"قسنطينة"** لكنّه لم يبق فيها إلاّ مدة معتبرة من الزمن ، ولكّنها كانت مدينة أجداده ، إذ مثلّت أصوله العرقية ، فجدته **"الحاجة بايا"** عاشت في **"قسينطينة"** إبّان الاستعمار ، ولكّنها غادرتها إذ **" لم يعد لعائلات قسنطينة من هم سوى إنقاذ شرفهم ، وخاصة تلك العائلات التي تكثر فيها الصبايا "** [9] ، و هذا يرجع لبطش المستعمرين بالشعب الجزائري ، فمنهم من يهاجر وينقذ بناته من الاغتصاب ومنهم من تلقي بنفسها من أعلى الجسر المعلق ، ومنهم من يموت ..و لم تكن هجرة الأهالي في مدينة **"قسنطينة"** فحسب بل طالت حتى مدنا جزائرية أخرى كتلمسان وذلك **" تعبيرا عن رفض أهلي البلاد معايشة المستعمرين "** [10]، وقد أحدثت هذه الهجرات الكثير من التغيرات التي طبعت المجتمع القسنطيني ، فبدأت العادات والتقاليد تتلاشى بعدما كان المجتمع القسنطيني مجتمعا جزائريا محافظا ، وكان ذلك بسبب ما نشره المستعمرمن عادات وتقاليد دخيلة عن ثقافة المجتمع الجزائري إذ قضوا على كل ما هو جزائري تقريبا حيث **" شاع الخمر وشاربوه "** [11]، وهو ما يؤدي إلى الشذوذ الثقافي والفكري للمجتمع **" لقد بدأ المجتمع القسنطيني يتصعلك من فوق ويسوده الفقر من تحت"** [12] ، وقد كان ذلك من **"الظاهر والباطن بدأت قسنطينة تتلاشى اختفت المحافظة واختفى معها " العمائم والبرانس والملابس المصنوعة من الأقمشة المطرزة "**[13].

[9] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن القسم الأول الطفل القسم الثاني الطالب ، ص 15 .
[10] المصدر نفسه ، ص16 .
[11] المصدر نفسه ،ص17 .
[12] ، المصدر نفسه ، ص18 .
[13] المصدر نفسه ،ص18.

إذن هكذا كانت **"قسنطينة"** مكان نشأة **"بن نبي"** مليئة بالتغيرات التي سببها الاستعمار وثقافته الوافدة فالروح الجزائرية تكاد تكون غائبة في تلك المدينة ، مدينة ابتعدت عن المحافظة وأصبحت تقريبا ذات طابع أوروبي ..

2)تبسة :

نظرا للظروف الخائبة التي عاشتها عائلة المفكر اضطر والداه أن يغادرا **"قسنطينة"** لتكون **"تبسة"** المحطة الثانية في حياة **"بن نبي "** و الوطن الثاني بعد **"قسنطينة"** وهذا يرجع لسبب هو أنّ أم **"بن نبي" " كانت تتمسك بالبقاء قرب أهلها ، الذين استقروا في تبسة منذ حوالي نصف قرن "** [14] ، ولم تهاجر الوطن الجزائر كما هاجره الأجداد ، بل استقرت في **"تبسة"** ليعيش **"مالك بني نبي"** جوا مغايرا تماما عن المدينة الأم التي ولد فيها ،**" ولعل فقداني لما اعتدت عليه في مدينة الباي ، كان يزيد في تأثير بيئة تلك المدينة على ذهني ، ولذلك ظلت قسنطينة تستقطب تفكيري طيلة سنوات طفولتي ، ولكن تبسة أصبحت هي الأخرى مجال استقطاب أضاف إلى ذاتي طابعه النفسي أيضا"**[15] ، ما نلاحظه أنّ **"بن نبي"** ظل متعلقا بمدينته الأم **"قسنطينة"** التي اعتبرها قد تأثرت و ابتعدت عن العادات والتقاليد ليجد **"تبسة"** على خلاف **"قسنطينة"** ، فكانت مدينة محافظة تتميز بالأنفة الجزائرية **" لقد نجت بنسبة كبيرة من تسلط الواقع الاستعماري ...وهذا ناتج من أنّ طبيعة المنطقة كانت تشكل نوعا من الدفاع الذاتي ضد الأوروبيين "**[16] .

وعليه فـ **"تبسة"** استطاعت أن تحافظ على كل ماهو جزائري وتتخلّص عن كل ما هو دخيل **" السكان هنا لم يتخلوا عن فضائلهم وتقاليدهم ...لقد تمكنت تبسة من المحافظة على روحها القديمة وعزّتها بفضل بساطة الحياة فيها وجدب تربتها "**[17].

إذن كانت **"تبسة"** البيئة القروية المحافظة وضعها مغاير لكل ما حدث في قسنطينة ، إلاّ أن **"بني نبي"** لم ينس **"قسنطينة"** بل ظل يفكّر فيها دائما لأنها تمثّل جذوره و أرض أجداده .

ج)الألعاب :

بعد العائلة والمحيط الجغرافي ، ما يربّي الطفل هو الألعاب وهي الأخرى تعكس بدورها طبيعة البيئة والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطفل ، ففي **"قسنطينة"** تختلف

[14] المصدر السابق ،ص 18.
[15] المصدر نفسه ، ص20 .
[16] المصدر نفسه ، ص21 .
[17] المصدر نفسه ، ص21 .

الألعاب عن ألعاب **"تبسة" " فأطفال مدينتي الأولى قسنطينة أكثر رفاهية وبالتالي كانت لعبهم الأولى أكثر أناقة ورقة ، فالصغار يتلهون بلعب صغيرة صنعت محليا من خشب ملون ، فهي أشبه ماتكون بتلك الصناديق الرخيصة الثمن التي كانت تحملها عرائس قبائل التبسة ضمن جهازها "** [18] ، إذن جهاز عروس في إحدى المدن هو لعبة طفل في مدينة أخرى .

أمّا في **"تبسة"** الألعاب تتمتع بالقسوة نظرا لطبيعة البيئة التبسية البدوية ألعاب تقليدية **، " وبعضها أحيانا كان يقترب من السحر والشعوذة "**[19]، فمثلا هناك لعبة **"الكورة"** التي كان يشترك فيها الكبار والصغار تكون بين فريق المدينة وفريق الزاوية ، يلعبون بكرة عبارة عن **" عقدة من غصن السنديان أو أنّها مصنوعة من شعر الماعز " ، وكانت تلعب بواسطة العصا ، تشبه لعبة "الغولف" ، أما اللعبة الأخرى كانت خطيرة جدا عبارة عن استعراض للقوى ، لعبة خشنة مليئة بالعنف " عبارة عن حرب صغيرة تقوم بين صبية تبسة وأولاد الزاوية "**[20] .

إذن هكذا كانت طفولة **"بن نبي"** قبل ارتياد المدرسة مليئة بالتحولات والتغيرات تعرف الاستقرار حينا ولا تعرفه حينا آخر، ولكنها كانت ثرية نظرا لتعرفه على فئات كثيرة من الناس واحتكاكه بطبقات مختلفة من المجتمع فقد تمكّن من معرفة ومعايشة المجتمع القسنطيني و المجتمع التبسي ما أهلّه فيما بعد لتكوين ثروة ثقافية عن الوطن الجزائري .

2)النشأة التعليمية :

1) التعلم والدراسة :

تربّى **"بن نبي"** على حكايات الجدة **" زليخة"** التي تعلمت هي الأخرى وتربت على حكايات الجدة **"بايا "** ، إذن فعل القص لعب الدور الأساسي في التنشئة الفكرية لمالك ، هذه الحكايات التي تدعو إلى فضيلة الأخلاق كان لها عظيم الأثر في تربيته الأخلاقية ، فالجدات والأمهات الجزائريات صاحبات بصمة ، يركزن على فكرة المسالمة في التربية والتشبث بالدين ، التراث ، والهوية ، ولم تخفق الجدة **" زليخة"** في ذلك وكانت هي أول المدارس التي ارتادها في حياته ولكن بطريقة مجانية تلقى الرجل أدبا طفوليا عن طريق القصص الشعبية التي كان يتلقاها من خلال جدته وهو لم يكن يعلم في تلك الفترة أنه كان يتعاطى دروسا كما يتعاطاها في المدرسة النظامية ، **" وهنا أضيف أنّ هذه المرأة كانت**

[18] المصدر السابق ، ص22 .
[19] المصدر نفسه ، ص 22 .
[20] المصدر نفسه ، ص22 .

بارعة في قص الحكايا إذ كانت تشدّنا ونحن متحلقون حولها ، كانت هذه مدرستي الأولى فيها تكونت مداركي "[21] ، إذن لها فضل عليه و يصرّح المفكّر فيما بعد **"بعد ربع قرن من هذا الحادث وكنت قد أصبحت رجلا أخذت أدرك إلى أي حد كنت مدينا إلى تلك الجدة العجوز "**[22] .

أما **"الأم"** التي سعت جاهدة لتسديد تكاليف تعليم ابنها بممارستها لمهنة الخياطة ، فقد دفعت المرأة كل ما تملك فقط ليتعلّم ابنها **"ولا أزال أذكر كيف أنّها اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص ".**[23]

إذن كان تعليم **"مالك بن نبي"** قبل ارتياده المدرسة النظامية ، تعليما عائليا (**حكايا الجدة وقصصها**) وتعليما قرآنيا ، ورغم إرساله للمدرسة الفرنسية إلاّ أنّه لم يترك التعلم القرآني **" لقد أرسلوني إلى المدرسة الفرنسية ، إلا أنني في الوقت نفسه ثابرت على التردد على مدرستي القديمة لتعلم القرآن "** [24] ، ومن هنا نستطيع القول أن **"بن نبي"** ذو لسانين وذو ثقافتين عربية وفرنسية.

أما عن تحديد مصيره الدراسي والمهني فقد كانت عائلة **"بن نبي"** تريد له توجها هو أن يكون **" عدلا في الشرع الإسلامي "**[25] ، لكن خاب أمل العائلة للأسف .

لقد كان **"بن نبي"** مزدوج الثقافة ، فهو يمتلك ثقافيتين الفرنسية والإسلامية العربية ، منذ بدايته التعليمية ، فقد كان يتعلم القرآن لمدة أربعة سنوات ولكنه لم يحفظ الكثير منه ، ويدرس النحو وعلم الصرف العربي ولا ينس الجلوس لسماع دروس الإمام وحضور المحاضرات التي تلقى في المقاهي ،هذه المقاهي التي كان يتعاطى فيها التبسيون القصص والحكايا التراثية الشعبية كحكايا ألف ليلة وليلة ، الأمر الذي زاد من ثقافته وجعل منها ثقافة متنوعة .

التحق **"بن نبي"** بالمدرسة الابتدائية في **"تبسة"** وصنّف من بين الطلبة الأوائل، وتحصل في **"قسنطينة"** على شهادته الابتدائية ، لينتقل بعدها إلى مرحلة الإعدادية هذه المرحلة التي تعدّ مرحلة ثرية جدا في حياته فقد طالع فيها الكثير من الكتب باللغتين الفرنسية والعربية وقرأ الكثير من الجرائد والمجلاّت ثم نجح بعد صعوبة في الدخول إلى المدرسة الثانوية ، تميز بن نبي بالفطنة منذ صغره ، وكان يدرس بلغتين عند أستاذين كان لهما الفضل في اتجاهاته الفكرية فيما بعد ، لقد كان الأستاذ **"عبد المجيد" " يعطي دروسه في النحو كل**

[21] المصدر السابق ، ص 18 .
[22] المصدر نفسه ، ص 18 .
[23] المصدر نفسه ، ص 19 .
[24] المصدر نفسه ، ص24 .
[25] المصدر نفسه ، ص 47 .

صباح في الساعة السابعة في المسجد " [26]، وكان **"مسيو مارتان" " يثري تلاميذه بالمفردات ويطبع في نفوسهم الذوق وفن الكتابة "**[27] ، وما ميّزه عن غيره أنّه كان يقرأ الكتب لوحده بمعنى يحب المطالعة ، وهذا ما مكنّه من أن يكون مفكرا لا مجرد طالب متفوق فحسب **" لقد قرأت بييرلوتي ، وكلود فارير ، وفاقدات السعادة .."**[28] ، كما تأثر بالحضارة العربية المشرقية القديمة والحديثة **" لقد بدأ الشرق القديم والحديث يستهويني بأمجاده ومآسيه ، وكان الحديث عنه يبكيني أو يبهرني "** [29].

و كان هناك كتابان عثر عليهما **"بن نبي"** يمثّلان بالنسبة له حدث هام في حياته عثر عليهما **" في مكتبة النجاح أعدهما الينابيع البعيدة المحددة لاتجاهي الفكري ، أعني بذلك كتاب (الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق) لأحمد رضا ، و (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده "** [30]ما يلاحظه المتتبع لسيرته التعليمية الفكرية ،هو أنّ الرجل قد كان واسع الثقافة متشبع بالثقافة الإسلامية العربية الأصيلة وبمختارات الأدب الفرنسي والفكر الفرنسي وكذلك الأدب الشعبي التراثي .

تخرج **"بن نبي"** من المدرسة الثانوية بعد أن قضى فيها أربع سنوات ، لم يجد عملا فصار يبحث عنه نظرا لأنّ حالته المادية كانت مزرية ، ثم بعثه والده إلى فرنسا طمعا في إيجاد عمل ، لكنّه لم يوفق فعاد إلى الجزائر ليشغل منصب مساعد عدل كمتطوع ، ثم تحصل فيما بعد على وظيفة رسمية في **"الأغواط"** ، ثم ترك هذه الوظيفة نظرا لسوء التسيير الإداري ، ما اضطر والده لإرساله لفرنسا للالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية ، ولكن الفرنسيين منعوه خوفا منه ومن أفكاره التي يرون أنّها تهدد استقرارهم ، فدخل مدرسة اللاسلكي وتخرج منها كمساعد مهندس .

تزوج بن نبي بفرنسية أعلنت إسلامها وظل يكتب عن شروط نهضة الأمم ، مناصرا للإسلام حاملا السلم والسلام الفكري ، وأفكار لتغيير الذات وتصليح المجتمعات ، معالجا وطارحا حلولا للآفات الاجتماعية من خلال الأدب ، الفلسفة ، علم الاجتماع ، السياسة ، أفكاره مست جميع الجوانب الحياتية غادر فرنسا عام 1954، شغل في هذه الفترة منصب مدير عام للتعليم العالي ثم استقال منه ليتفرغ أخيرا لنشر أفكاره ويبقى في بلده الأم الجزائر مداريا لها ، صامتا متأملا ومصلحا صديقه الوحيد القلم إلى أن وافته المنية في الواحد والثلاثين من سنة 1973.

[26] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن القسم الأول الطفل القسم الثاني الطالب ، المصدر السابق ، ص 47 .
[27] المصدر نفسه ، ص 48 .
[28] المصدر نفسه ، ص48.
[29] المصدر نفسه ، ص48.
[30] المصدر نفسه ، ص48.

2)إنتاجه الفكري :

لقد ترك **"بن نبيّ"** إرثا عظيما من الكتب والمقالات والمحاضرات بكل المجلات ففي السياسة كتب وفي الفسلفة وفي العلوم الاجتماعية وعلم النفس وحتى الأدب لقد كان مؤلفا يفرط من التصنيف فتارة أديب وتارة عالم اجتماع وتارة أخرى فيلسوف ، تعددت الطرق والفكر واحد ، هذه المؤلفات لم تعرف استقرارا من ناحية التواريخ فبعضها كان أثناء فترة الاستعمار يتمحور حول قضايا الوطن كرواية (**لبيك حج الفقراء**) ومقال (**النجدة الشعب الجزائري يباد**) وحتى القضايا القومية والإسلامية ككتاب (**الظاهرة القرآنية**) وكتاب (**فكرة الأفريقية الآسيوية**) والبعض يتجاوز لفكرة القضايا العالمية ككتاب (**شروط النهضة**) ، لم يلهه الاستعمار ولا بطشه عن الاستمرار في الكتابة فمارسها أثناءه ومارسها أثناء الاستقلال وبعده ليكون قلمه القلم الفياض الذي لا يجف وفكره الفكر الذي لا ييأس من إيصال فكرة ما ، فالعالم ككل مبني على مجموعة من الأفكار، كلها كانت أعمال ورقية قيمة إلاّ أنّها لم تلاقي الرواج الذي يليق بها ، إنّه كما وصفوه المجهول في قومه .

أ)مؤلفاته غير الأدبية :

- أثناء الاستعمار:

الظاهرة القرآنية ألّفه عام 1946 .

لبيك حج الفقراء ألفها عام 1947 .

شروط النهضة عام 1948 .

وجهة العالم الإسلامي من 1949 إلى 1950 .

في مهب العركة 1953-1954 .

العفن 1951 -1954 .

وجهة العالم الإسلامي 02 ألفه عام 1952 .

فكرة الإفريقية الآسيوية في 1956 .

النجدة الشعب الجزائري يباد (مقال) 1957 .

الصراع الفكري في البلاد المستعمرة في 1957 .

فكرة كومنويلث إسلامي 1958 .

مشكلة الثقافة في 1959

الكتاب والوسط الإنساني 1959 .

حديث في البناء الجديد عام 1959 .

تاملات 1959 -1961 .

تأملات في المجتمع العربي 1961 .

- مؤلفاته بعد الاستعمار :

ميلاد مجتمع 1962 .

آفاق جزائرية 1964 .

مذكرات شاهد القرن الطفل 1965 .

إنتاج المستشرقين 1967 .

الإسلام و الديموقراطية 1967 .

مذكرات شاهد القرن الطالب 1970 .

معنى المرحلة 1970 .

مشكلة الأفكار 1970 .

مجالس دمشق1971 .

المسلم في عالم الإقتصاد1972 .

دور المسلم ورسالته في الثلث الأخيرمن القرن العشرين 1972.

بين الرشاد والتيه 1972 .

إذن كانت هذه أهم مؤلفات **"مالك بن نبي"** التي مازج في كتابتها بين اللغة العربية والفرنسية ، كانت عبارة عن مؤلفات بلسان مزدوج اللغة ، والتي ذكرت هنا ليست كل مؤلفاته فهناك الكثير منها ما لم ينشر أبدا ليومنا هذا .

ب) مؤلفاته الأدبية :

- مذكرات شاهد القرن :

عمل إبداعي ينتمي إلى أدب السيرة الذاتية ، هذا النوع من الأدب يقوم فيه الأديب بتدوين حياته الخاصة **" إنّ فن كتابة السيرة نوع قديم من الأدب "** [31]، وهو جنس أدبي قائم بذاته مثله مثل الشعر ، الرواية ، القصة ، المسرح .. وله قسمان : سيرة غيرية وسيرة ذاتية فقد **" برز في أنوع مختلفة من الأدب مثل التاريخ واليوميات والمذكّرات والاعترافات والقصة والرواية "** [32]، و**"مالك بن نبي"** كتب مذكراته على شكل كتاب وسمه بعنوان **"مذكرات شاهد القرن "** ، وهو من الأعمال التي جعلت منه أديبا .

مذكرات شاهد القرن يوميات قسمها بن نبي لقسمين ، القسم الأول الطفل 1905-1930 **" أخرجه فيلسوفنا بن نبي عام 1966 بالفرنسية "** [33] يتحدث عن طفولته ونشأته قام بترجمته عمر مسقاوي " وفي بداية السبعينات "[34] أصدر القسم الثاني الطالب 1930-1939 يتحدث عن حياته الدراسية **" مرحلة الدراسة في باريس ابتداء من 1930 "**[35] قام بترجمته **"مالك بن نبي"** بنفسه ، جاءت هذه الطبعة على شكل كتاب موحد وقد اعتمدنا عليها في بحثنا هذا .

أما الطبعة الأولى فقد قام بترجمة القسم الأول منها **"عبد المجيد النعنعي" و"مروان القنتاوي"** والقسم الثاني **"مالك بن نبي"** جاءت على شكل كتاب غير موحد كل قسم صدر على حدى .

لا يكتف **"مالك بن نبي"** بذكر حياته الخاصة فقط إنّما يتحدث عن الوطن الجزائري ككل وما يعيشه من استعمار و استدمار ثقافي ومادي ، بل يتعدى ذلك **لتكون "عينة من عينات العالم الإسلامي الذي استقال من مهمته التاريخية ، وغدت بقية التراث مبعثرة هنا وهناك "** [36] لذلك سمى نفسه بشاهد القرن .

---

[31] عبد المجيد البغدادي ، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي مقال ، جامعة بنجاب لاهور باكستان ، العدد الثالث والعشرون ، ص190.

[32] المرجع نفسه ، ص 190.

[33] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن القسم الأول الطفل القسم الثاني الطالب ، المصدر السابق ، ص 07.

[34] المصدر نفسه ، 07.

[35] المصدر نفسه ، ص 07 .

[36] المصدر نفسه ، ص 09.

- رواية لبيك حج الفقراء :

في التقديم لهذا العمل الفني الأدبي ،نجد أنّ هناك تضارب في ضبط صنف هذا العمل أهو قصة أم هو رواية ففي صفحة من صفحات التصدير توصف على أساس أنها قصة :**"فقصة لبيك رسمت عمق الروح الجزائرية "** [37]وفي صفحة أخرى توصف على أساس أنّها رواية **" لبيك اللهم لبيك ، كلمات يناجي بها المسلم ربه خلال فريضة الحج ، وقد اختار بن نبي هذه العبارة عنوانا لرواية كتبها "**[38].

إذن هي عمل أدبي سردي كتب باللغة الفرنسية وتم إصداره في عام 1947 ، وتعدّ بهذا التاريخ الذي أصدرت فيه أول رواية جزائرية ، الأمر الذي لم ينتبه له النقاد فهمّشت وهمّش معها **"مالك بن نبي"** الأديب .

لقد وصف المفكر روايته بأنّها رواية قد تكون فيها بعض الأخطاء الإبداعية والتقنية لأنّها **"رواية كتبها وبعجالة بين سفرتين في غرفة فندق"** [39] ، تدور أحداثها **" في مدينة عنابة (بونة أثناء حقبة الاستعمار) "**[40] فأبطال روايته كانوا يمثلون الشعب الجزائري بأسره الذي عاش فترة الاستعمار والتي بدت ثقافة المستعمر الدخيلة تطغى عليه وتسحبه عن ثقافته وهويته التراثية لتنشر آفات اجتماعية ترفضها طبيعة المجتمع الجزائري كانتشار الخمر والفسق والمجاهرة بالسوء .

اهتمّ **"مالك بن نبي"** بصورة الآخر المستعمر ومدى تأثيره على المجتمع الجزائري ، ولم يغفل عن توظيف الجانب الديني الذي له الدور الفعّال هو الآخر في محاربة الذوبان والانغماس في ثقافة المستعمر الدخيلة ، لقد كان له مرمى واحد وهو الرجوع إلى الأصل فضيلة ، حاول بقدر الإمكان إيصال فكرة وهي أنّ المجتمع الجزائري مهما تفرنس يبقى دينه الوحيد والأوحد هو الإسلام وثقافته الوحيدة والواحدة هي الثقافة الجزائرية البحتة ، من خلال قصة **"بوقرعة "** وهو **"إبراهيم"** بطل الرواية ،استطاع **"بن نبي"** تصوير فئة الشعب البسيط المغلوب على أمره الذي انصاع واستسلم للعقلية الأوروبية السائدة ، فإبراهيم سكّير فحّام همه الوحيد في هذه الدنيا **"القرعة "** قارورة الخمر لا يؤذي غيره بقدر ما يؤذي تاريخه الجزائري ، فأبواه كانا تقيان والجزائر نظيفة من هذه الآفات ، إلاّ أنّ هذا **"السكير"** كان له حلم وهو الحج إلى بيت الله الحرام والتوبة النصوح ، فدعا ربّه فاستجاب **" يا ربي اشفني من شروري فأنا مريض ، اهدني سواء سبيلك فإنّي ضال "**[41] ، ولم يكن يدرك أن دعوته ستستجاب ، فتغيّر **" بوقرعة "** و أصبح **"الحاج إبراهيم"** ، جاءت هذه الرواية في 157صفحة إلا أنّها

[37] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، المصدر السابق ، ص10.
[38] المصدر نفسه ، ص 17.
[39] المصدر نفسه ، ص 17.
[40] المصدر نفسه ، ص 17.
[41] المصدر نفسه ، ص 57.

طرحت قضايا كانت تتخلل المجتمع الجزائري إبّان الاستعمار الفرنسي ، ليقول مالك بن نبي ثوروا أنتم جزائريين ولستم أوروبيين تحت مبدأ الإصلاح والتغيير يبدأ من النفس ثم الآخر ، ويطرح فكرة الثورة الثقافية ومن هنا أتى موضوع بحثنا هذا **" المفهوم الثقافي للثورة في فكر مالك بن نبي رواية لبيّك حجّ الفقراء أنموذجا "** ، يدرس مبادىء الفكر الثقافي الثوري في فكر مالك بن نبي ، و يبحث عن الجانب المعنوي للثورة لا الجانب المادي لها .

كان هناك ثوريون مهدّوا لثورة 1954 المسلحة من خلال قلم إبداعهم الذي لم يبتعد عن الروح الجزائرية و كانت رواية **"لبيك حجّ الفقراء"** رواية واقعية بحتة عالجت الحياة الاجتماعية وقضاياها قبل الثورة درست الآفات وطرحت الحلول والحل الوحيد والأوحد هو الرجوع والتشبث بالهوية الجزائرية التراثية والتي أساسها الدين الإسلامي ، لقد كان **"بن نبي"** من الثوريين الذين حملوا فكرا مناهضا للاستعمار كتب روايته بالفرنسية موجها إيّاها للمتعلمين الجزائريين الذين كانت فرنسا ترغمهم على التعلم باللغة الفرنسية فحارب بن نبي الذئب في عرينه داعيا المتعلمين الجزائريين للتشبث أكثر بجزائريتهم واضعا أسسا لثورة فكرية فالفكرة تسبق العمل ، وعليه كانت هناك ثورة فكرية معنوية من بين المؤسسين لها إبداعيا **"مالك بن نبي"** ، ثم تلتها الثورة المادية المسلحة ثورة الأول من نوفمبر الشهيرة عام 1954.

الفصل الأول :

فكر مالك بن نبي بين الثقافة والثورة

لا نستطيع ضبط مفهوم معين للثقافة ، نظرا لطبيعة المصطلح فقد تعددت الدراسات حول ماهية الثقافة ، ففي علوم التربية لها مفهوم خاص وفي علم النفس لها مفهوم آخر ، وفي علم الاجتماع كذلك ، وفي علم الاقتصاد و في العلوم اللسانية يتنوع عن سابقيه ، و لها تعريف قديم ولها تعريف حديث ، لذلك يصعب على الباحث الخروج بمفهوم جامع مانع لهذا المصطلح ، و سنتطرق لمفهومه اللغوي والاصطلاحي في العناصر التالية :

1– مفهوم الثقافة عامة :

أ)مفهوم الثقافة لغة :

لقد جاء في كثير من المعاجم والقواميس معاني الجذر **"ثَقَفَ"** فقد ورد ذكره في **"لسان العرب" و "القاموس المحيط" و في "التهذيب"** ، وسنختار له تعريفين من القواميس القديمة والحديثة .

جاء في **"لسان العرب"** الفعل (**ثَقَفَ**) بمعنى :" **ثَقَفَ الشيء ثَقَفًا وثِقَافًا و ثُقُوفَة : حَذَقَهُ ورجل ثَقَفَ وثَقُفَ : حَاذِقُ فَهِمٌ وأتبعوه فقالوا ثَقَفَ لَقَفَ**" [1].

أما في قاموس **"المنجد في اللغة والأعلام"** فتمت الإشارة إلى مادة الفعل:"(**ثَقُفَ**) **ومادة الفعل** (**ثَقَّفَ**) **بمعنى : ثَقَفَ وثَقُفَ وثَقْفًا وثُقْفًا وثَقَافَةٌ : صار حَاذِقاً خفيفا فهو ثَقْفٌ و ثَقَفَ وثَقِفَ وثَقِيفٌ . ثَقَفَ ثَقْفًا وثَقَافَةٌ و ثُقُوفَةُ الكلام حذقه وفهمه بسرعة وثَقْفًا به ظفر به أدركه . ثَقُفَ ثَقُفًا : غلبه في الحذق وبالرمح طعنه . ثَاقَفَهُ : غالبه في الحذق يقال ثَاقَفَهُ فثَقَفَهُ أي غالبه فغلبه لاعبه بالسلاح وهي محاولة إصابة الغرّة في المسابقة ونحوه خاصمه ، تَثَاقُفًا : تغالبا في الحذق تخاصما . الثِقَافُ من النساء : الفطنة ، الثِقَافُ : الخصام ، الثَقِيفُ : الحاذق جدا ، ثَقَّفَ : ثَقَّفَ الرمح قوّمه وسوّاه والولد تَثَقَّفَ : هذّبه وعلّمه فتهذّب وتعلّم فهو مُثَقَّفٌ وهي مُثَقَّفَةٌ . وهذا مستعار من ثَقَّفَ الرمح . الثِقَافُ : آلة تثقّف بها الرماح . الثَّقَافَةُ : التمكّن من العلوم والفنون . المُثَّقَفُ : الرمح في عرف الشعراء الرجل ذو ثَقَافَة. الثَقِّيفُ : المتناهي في الحموضة يقال (خِلّ ثَقِيفٌ)**".[2]

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ، ج1 ، دار إحياء التراث العربي ،ط1 ، 1999، ص112.
[2] مجموعة من المؤلفين ، المنجد في اللغة والأعلام ، ، دار المشرق ، بيروت ، ط40 ، 2003 ، ص 71 .

ب)مفهوم الثقافة اصطلاحا :

"**للكلمات تاريخ** "[3] ولكلمة (**ثقافة**) تاريخ أيضا ، إذ ظهرت هذه الكلمة في "**آواخر القرن الثالث عشر متحدرة من cultura اللاتنية التي تعني العناية الموكلة للحقل والماشية وذلك** " [4] ، بمعنى الاعتناء بالأرض المحروثة فارتبط مفهوم الثقافة بالأرض ، ولأنّ مصطلح الثقافة مصطلح يتغير معناه كثيرا ، فسرعان ما تغير مفهومه في القرن السادس عشر ،"**إذ بات ممكنا أن تشير كلمة ثقافة حينذاك إلى تطوير كفاءة ، أي الاشتغال بإنمائها** "[5] ، إلّا أنّ هذا التعريف "**لم يحز على اعتراف أكاديمي ، إذ لم يدرج ضمن مواد أغلب قواميس تلك الفترة** "[6] ، إلى غاية القرن الثامن عشر " **الذي بدأت فيه كلمة ثقافة تفرض نفسها في معناها المجازي ، بهذا المعنى تمّ إدراجها في قاموس الأكاديمية الفرنسية** "[7] ، لم تكن الثقافة كلمة مفردة في تلك الفترة بل كانت دائما متبوعة بمضاف "**فكان يقال (ثقافة الفنون) و(ثقافة الآداب) و(ثقافة العلوم) كما لو كان ضروريا أن يحدّد الشيء المعتنى به تثقيفيا**"[8].

إذن هكذا تطورت دلالة كلمة "**الثقافة**" تاريخيا حسب الفكر الغربي الأوروبي من العصر اللاتيني ، فالوسيط ، فالحديث ، أما في العصر الحديث فقد تحرر المصطلح تدريجيا لتتشعب معانيه ودلالته حسب تشعب العلوم التي اعتنت به ، هذه الإشكالية تضعنا في موقف يستدعي إيراد التعريفات المشهورة المتنوعة لمصطلح "**الثقافة**" ، على حساب التعريفات غير المشهورة نظرا للحمولة الدلالية الثقيلة التي تتمتع بها هذه الكلمة .

لقد تم تداول مفهوم الثقافة العلمي عند الكثير من علماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا ، فقد أدلى "**إدوارد بارنت تايلور**" Edward Barnett Taylorبأوّل تعريف أنثروبولوجي للثقافة ، إذ عرّفها بأنّها ذلك "**الكلّ المرّكب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنّ والأخلاق والقانون والمعتقدات والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى ، التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع**"[9].

---

[3] دنيس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السّعيداني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،ط1 ،2007 ، ص15.
[4] المرجع نفسه ، ص 17 .
[5] المرجع نفسه ، ص17.
[6] المرجع نفسه ، ص17.
[7] المرجع نفسه ، ص17.
[8] المرجع نفسه ، ص18.
[9] المرجع نفسه ، ص30.

أمّا "**فرانز بواس**" Franz Boasفقد كان له التصور التخصيصي للثقافة بمعنى أنّ لكل شعب ثقافته التي تخصه ، كما كان يرى أنّ هناك اختلاف بين الثقافات البشرية أو ما عرّفه "**بالاختلاف الأساسي بين المجموعات البشرية** "[10] ، وهو ما أدّى به إلى استنتاج خلاصة وهي أنّ الثقافة نسبية بمعنى مختلفة من شعب إلى آخر، "**فقد كانت النسبية الثقافية بالنسبة إليه مبدأ منهجيا** "[11].

أماّ "**مالينوفسكي**"Malinowski فقد ذهب إلى الجانب الوظيفي للثقافة في تعريفه لها ، إذ كانت له نظرية وهي ما تسمى بنظرية "**الحاجات**" ، إذ يرى أنّ "**وظيفة العناصر المكوّنة لثقافة ما هي في تلبية الحاجات الأساسية للإنسان** " [12]، بمعنى أوضح أنّ الإنسان "يتغذى ، يتكاثر ، يتعالج" يعني (**حاجات جسمية**) ، "يدرس ،يعلّم ، يؤرخ" يعني(**حاجات عقلية**) ، "**فالثقافة تستجيب بخلق المؤسسات** " [13]والمؤسسات في نظر "**مالينوفسكي**" "**هي العناصر الملموسة للثقافة** "[14] ، في حين أن البنيوي "**كلود ليفي ستراوس**" Claude Levu –Straussاعتبر أنّ "**كل ثقافة مجموع أنساق رمزية تتصدرها اللغة**"[15] و هو هنا يربط الثقافة باللغة .

ما نلاحظه أنّ مصطلح الثقافة متعدد المعاني والدلالات ، فتارة يشير إلى المعتقدات والعادات والفن والقانون وتارة يشير إلى تلبية حاجات الإنسان ، وتارة أخرى يرتبط معناه باللغة لذلك لا يمكن السيطرة على هكذا نوع من المصطلحات ، و لم يغب عن "**مالك بن نبي**" الانتباه لهذه الإشكالية في ضبط مفهومه للثقافة فقد بيّن التشعب القائم عليه هذا المصطلح ، ففي بداية أبحاثه أخذ ينقده ويزيل عنه التحريف الذي طرأ عليه ليخلص إلى ضبط مفهوم علمي للثقافة وفق رؤاه الخاصة .

2–مفهوم الثقافة عند مالك بن نبيّ :

لقد ربط "**بن نبيّ**" تعريفه الثقافة بعاملين ، وظيفة كل منهما تحديد المعنى الحقيقي لكلمة " **ثقافة**" وهما :

_الأول : "**يحددها في ضوء حالتنا الراهنة**"[16] ، بمعنى تحليل الواقع الثقافي لأمة ما في الزمن الحاضر.

[10] المرجع السابق ، ص 35.
[11] المرجع نفسه ، ص 38.
[12] المرجع نفسه ، ص58.
[13] المرجع نفسه ، ص59.
[14] المرجع نفسه ، ص59.
[15] المرجع نفسه ، ص79.
[16] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 ، ص79.

–الثاني: "يحددها حسب مصيرنا"[17] ، بمعنى استشراف الواقع الثقافي لأمة ما في الزمن المستقبل .من خلال هذين العاملين نستطيع أن نقول أنّ "**الثقافة**" مرهونة بالزمن هذه نقطة أولى .

النقطة الثانية أنّ "**مالك بن نبيّ**" انتبه إلى ذلك الانقسام الموجود في مفهوم "**الثقافة**" ، إذ لا يوجد تعريف موحد لمصطلح "**الثقافة**" ، وقد اعتبر هذا الانقسام خلطا خطيرا ، "**بين ما تفيده كلمتا ثقافة وعلم** "[18] ، ولابدّ من تفاديه لذلك أتى بمجموعة من التعريفات المختلفة لمصطلح الثقافة حتى يبيّن الحرفية التي وقعت على هذا المصطلح و من بين التعريفات :

أ)– المفهوم الغربي للثقافة :

"في الغرب يعرفون الثقافة على أنّها تراث الإنسانيات الإغريقية اللاتينية [19] ، من هذا القول نلاحظ أنّ "**بن نبيّ**" انتبه لفكرة ربط الغرب للثقافة بوظيفة الإنسان وإنجازاته التي يخلّفها للأجيال التي تليه .

ب)– المفهوم الاشتراكي للثقافة :

" وفي البلاد الاشتراكية حيث يطبع تفكير ماركس كل القيم ، عرّف (يادانوف) الثقافة _في تقريره المشهور الذي قدّمه منذ عشر سنوات لمؤتمر الحزب الشيوعي في موسكو_ ، على أنّها ذات علاقة وظيفية بالجماعة ، فالثقافة عنده هي : فلسفة المجتمع " [20] ، إذن الثقافة حسب المنظور الاشتراكي بالضرورة تكون ذات وظيفة اجتماعية جماعية تربط وتضبط الأفراد في سلوكاتهم المشتركة .

أوجب هذان التعريفين على " **بن نبيّ**" أن يستخلص تعريفا للثقافة وصفه بالعلمي ، فالثقافة من وجهة نظره إذن "**مجموعة من الصفات الخلقية ، والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه ، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيّته**"[21] ، الذي نلاحظه من هذا التعريف أنّ الثقافة بالنسبة لـ " **بن نبيّ**" (**أخلاق + قيم اجتماعية+ محيط**) عناصر كلها توّجه تربويا ؛ بمعنى أنّ الإنسان يتربّى عليها منذ الولادة ، والثقافة بالنسبة له هي محيط يساهم في خلق شخصية الفرد بمعنى

[17] المرجع السابق ، ص79.
[18] المرجع نفسه ، ص82.
[19] المرجع نفسه ، ص 82.
[20] المرجع نفسه ،ص83.
[21] المرجع نفسه ، ص83.

أوضح ربط "**بن نبيّ**" الثقافة بالنشأة الاجتماعية للفرد (**جانب جماعي اجتماعي**) ، وبشخصية الفرد (**جانب فردي نفسي**) فالثقافة في الأخير هي عبارة عن سلوك ، و اعتبر المفكّر أنّ هذا التعريف الذي أدلى به هو تعريف شامل وعلمي لمعنى مصطلح "**الثقافة**" ، واعتبر أنّ الثقافة هي أساس الحضارة ، يقول في ذلك "**وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها : فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة ، والذي يتحرّك في نطاقه الإنسان المتحضر**".[22]

لم يكتف المفكّر بهذا التعريف الذي وصفه بالعلمي و الشامل ، و راح يبحث عن مفهوم الثقافة في جوانب وميادين مختلفة من الحياة ، فيكون بهذا مثله مثل غيره من المفكرين يعطي الكثير من التعريفات لمفهوم الثقافة ؛ إذ لم يكتف بهذا التعريف العلمي الشامل ، و أخذ يبحث عن مفهومها من الناحية التاريخية و الناحية التربوية ، ورأى من الضروري استقراء التاريخ كعنصر نظري هام في تكوين الثقافة ، والتركيز على الجانب التربوي كنظام تطبيقي يدرس ثقافة الشعوب في اتصالها بالماضي وفي وضعها الراهن ومدي استشرافها لمصير ومستقبل الأمم ، لذلك راح يعطي :

ج)– مفهوم الثقافة في التاريخ :

يرى "**بن نبي**" أنّه لا يمكن تصور ثقافة بلا تاريخ ولا تاريخ بلا ثقافة ، " **فالشعب الذي فقد ثقافته فقد حتما تاريخه ،فالثقافة من الناحية التاريخية مربوطة بفكرة دينية نظّمت الملحمة الإنسانية في جميع أدوارها من لدن آدم** "[23] ، أي منذ آدم بدأ التاريخ وبدأت الثقافة ، ليخلص في الأخير إلى مفهوم تاريخي لها فمن وجهة نظره الثقافة تاريخيا هي "**كلّ ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة ، ويحدد قطبيها من عقلية بن خلدون وروحانية الغزالي ، أو عقلية ديكارت وروحانية جان دارك ..هذا هو معنى الثقافة في التاريخ** "[24] ، ما يمكن فهمه من هذا التعريف أنّ العودة لمعنى الثقافة تقتضي بالضرورة العودة إلى التاريخ ، سواء العربي كإنجازات **بن خلدون** التاريخية ، ومخلّفات **الغزالي** الدينية ، أو التاريخ الغربي من نظريات عقلية **ديكارتية** وما خلفته **جان دارك** من مؤلفات روحانية ، وعليه بالنسبة لـ" **بن نبيّ**" التاريخ يعني العودة إلى جانبه العلمي وجانبه الديني ، والعودة بالضرورة إلى شموليته لا الاكتفاء بتاريخ أمة على حساب أمم أخرى ، إذا كنت تريد أن تكون مثقفا حسب فكر "**بن نبي**" فعليك أن توسع

[22] المرجع السابق، ص 84 .
[23] المرجع نفسه ، ص86.
[24] المرجع نفسه ، ص86.

معرفتك ، لا بمعرفة جذورك وحسب بل بمعرفة جذور الآخرين أيضا ، وهو ما يشّكل مفهوم الثقافة في التاريخ من وجهة نظر "**بن نبيّ**" .

مفهوم الثقافة في التربية :

ترتبط التربية بالمجتمع وترتبط الحضارة بالمنافسات الحاصلة بين المجتمعات في مختلف ميادين الحياة : " **ولماّ كان كل إنسان في هذه الحال يدعم كيانه ويزيد من قوّته بلا نهاية على حساب الآخرين ، ويسعى إلى السيطرة واكتساب الآخرين ، فإنّ العلاقة تصبح علاقة حرب مستمرة هي حرب الجميع ضد الجميع** "[25] ، لذلك بناء الحضارات يتطلب جهدا كبيرا ، **فالحضارة = (ثقافة + مجتمع)** والإنسان بطبعه يميل إلى التمدن و التحضّر ، و لا يكتمل معه هذا الأمر إلاّ إذا انتبه لبناء ثقافته وتطويرها من جميع النواحي خصوصا التربوية ، "**والتربية بمعناها الكامل هي وسيلة الاستمرار الاجتماعي للحياة ، و هي السبيل كذلك لتجديد الحياة بمستوياتها الاجتماعية والخلقية ، وعن طريقها يكتسب الفرد المهارات والاتجاهات التي تساعده على مواكبة متطلبات الحياة** " [26] ، فالتربية إذا بنيت على أساس قويم كانت نظاما عالميا معترفا به لتنمية المجتمعات (**مجتمع نامي = مجتمع مثقف تربويا**) ، وعلى هذا الأساس تكون الثقافة بمعناها التربوي كما عرّفها "**مالك بن نبيّ**" في شروط نهضته كالتالي: "**تشتمل الثقافة في معناها العام على إطار حياة واحدة ، يجمع بين راعي الغنم والعالم ، بحيث توحّد بينهما دواعي مشتركة ، وهي تهتم في معناها الخاص بكل طبقة من طبقات المجتمع فيما يناسبها من وظيفة تقوم بها ، وما لهذه الوظيفة من شروط خاصة ، وعلى ذلك فإنّ الثقافة تتدخل في شؤون الفرد وفي بناء المجتمع ، وتعالج مشكلة القيادة فيه ، كما تعالج مشكلة الجماهير** .." [27] ، حسب هذا التعريف يشير المفكّر إلى أنّ الثقافة تجمع بين الراعي والعالم ، من خلال عناصر مشتركة تجعلهم يتعايشون في مجتمع واحد دون نزاع ، بل يكمّل بعضهم البعض إلاّ أنّ لكل طبقته الاجتماعية التي تميزها ثقافتها المختلفة تمام الاختلاف عن ثقافة طبقة أخرى ، مثلا طبقة العالم تختلف ثقافتها التي تحتوي على مصطلحات و أساليب حياة اقتصادية اجتماعية و فكرية ، عن طبقة الراعي التي تختلف هي الأخرى عن طبقة العالم من خلال تميزها بأساليبها الخاصة ،

[25] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس ، دار المعارف ، ط5 ،1984 ، 147.

[26] صالح عبد العزيز ، التربية الحديثة مادتها مبادئها تطبيقاتها العملية ، الجزء الثالث ، دار المعارف، مصر، دط ،1969 ، ص14.

[27] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص86.

إلاّ أنّ العالم والراعي يشتركان في هدف واحد وهو بناء المجتمع و النهوض به ، وهو ما تقوم عليه الثقافة التي تتأسس على هذه الوظيفة التربوية والاجتماعية و هي تحقيق التطور والتعايش الثقافي الاجتماعي .

هـ)–عناصر الثقافة عند مالك بن نبيّ :

تتألّف "**الثقافة**" من عناصر حسب منظور "**مالك بن نبيّ**" ، هذه العناصر وصفها بالدستور "**يتخذ منها الشعب دستورا لحياته المثقّفة** "[28] وهي :

1–التوجيه الأخلاقي :

إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت إن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا [29]

" **إنّ الحقّ لا يمكن إقامته إلاّ بالعدل** "[30] ، و لأنّ الثقافة تعدّ حقا من حقوق الإنسان ، رأى "**بن نبيّ**" أنّ الثقافة مركّب اجتماعي يتكون من عناصر، أول عنصر تتأسس عليه الثقافة في المجتمع هو الأخلاق ، فحسب رأيه الثقافة تحكمها أخلاق هذه الأخلاق "**يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية** " [31] ،حتى يتمكّن المجتمع من بناء حضارة متماسكة مشيدة بعيدة عن كل ما يدمّرها من حيوانية وتوحش ، فالثقافة تنتج عن سلوكات معينة تطلبها طبيعة مجتمع يتطلّع للازدهار والرقيّ، حضارة موافقة لقول الشاعر :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا [32]

إذن الثقافة عنده أخلاق والأخلاق رجوع إلى الجذور ورجوع إلى الأديان ، التي بدورها تدعو إلى فضائل الأخلاق وهي التماسك والترابط الاجتماعي ومنه تتشكل الحضارات المبنية على ثقافات متينة .

2–التوجيه الجمالي لتكوين الذوق العام :

[28] المرجع السابق ، ص87.
[29] أحمد شوقي ، الشوقيات ، ج1، دار الكتب العلمية ، مصر، 1946 ، ص 224.
[30] إيمانويل كانط ، مشروع السلام الدائم ، ترجمة عثمان أمين ، مكتبة الإنجلو مصرية ، القاهرة ط1 ، 19552، ص31.
[31] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص87.
[32] أحمد شوقي ، الشوقيات ، المرجع السابق ، ص 65.

للجمال والأذواق الدوّر الفعّال في بناء المجتمعات ثقافيا وفكريا و سلوكيا ، لذلك اهتم "**بن نبيّ**" بالتنويه للعنصر الجمالي كأحد أهم أسس الثقافة ، فالثقافة تسمو لبناء مجتمع يكون دائما في الرّكب الأوّل بين الأمم يقول في ذلك: "**لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل ، فإنّ لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح ، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة ، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره و أعماله و مساعيه** "[33] ، مثلا صورة شخصية "**عبد الحميد بن باديس**" صورة ذات طابع جمالي في الذهنية الجزائرية ، حتى أنّها ترسم على الجدران والكتب المدرسية إذا هي صورة كما وصفها لها أثر في الأفكار والأعمال والمساعي ، إذ أنّ يوم وفاة هذه الشخصية هو يوم يسمى بعيد العلم في الوطن الجزائري و هذا يدلّ على شدّة تأثير وجمال صورة شخصية "**بن باديس**" في الذهنيّة المجتمع الجزائري ، في حين أنّ صورة فرنسا كبلد مستعمر تأخذ طابع القبح في المتخيل الجزائري نظرا لما ارتكبته من جرائم ومجازر في حق هذا الشعب العظيم المتسامح ، وعليه للصور الجميلة أثرها في تكوين الذوق العام للمجتمع الذي يؤثر بدوره في سلوكاته وأعماله و مساعيه ، "**للجمال أهمّية اجتماعية هامة ، إذا اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع** " [34].

3- المنطق العملي :

لا حضارة دون عمل و لا عمل دون فكر ، وثقافة العمل ثقافة عرفت منذ القديم " **فالعمل شرط أوّلي للوجود الإنساني وبفضله رفع الإنسان نفسه عن الكائنات الحيوانية**" [35]، وهو ثقافة لا يتمتع بها الجميع ، لذلك تحرص الشعوب المتطورة على العمل وعلى فاعلية العمل و في هذه النقطة أعطى "**بن نبيّ**" رأيا مهما لابدّ من التمعّن فيه جيدا إذ قال : " **إنّنا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من (اللافاعلية) في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة**"[36]، هو يحاول هنا أن يعطي لمحة عامة لطبيعة العمل في الوطن الجزائري ، وفي البلدان العربية بصفة عامة ، إذ وصف العمل فيها باللافاعلية ، فلماذا العمل لا يعطي منتوجه المرجو من فائدة شاملة للجميع في هذه الأوطان ؟ ، ببساطة العمل في هذه الأوطان منذ بدايته يتسم بالعبث واللعب والاستهتار ، لأنّ الشعوب العربية عامة لا تتمتع بحس الجدية و حب العمل ، إنّما إذا عملت عبثت ،

[33] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص 91.
[34] المرجع نفسه ، ص91.
[35] نبيلة وحدي، العمل والقيم إشكالية الالتزام، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ب/ قسم الآداب والفلسفة ، العدد 12 -جوان-2014،ص4.
[36] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص96.

ليخلص في الأخير إلى حكمة من هذه الظاهرة الاجتماعية وهي : **"إذا ما أردنا حصرا لهذه القضية ، فإنّنا نرى سببها الأصيل في افتقادنا الضابّط الذي يربط بين عمل وهدفه ، العبث في العمل لا ينتج هكذا جزافا أبدا ولكن له مسببات هو الآخر ، من بينها أنّ العمل الذي يتخلله الاستهتار واللعب هو عمل بلا هدف منذ البداية ، لأنه لو تأسس عمل من أجل هدف ما لتفادت الشعوب العربية المسلمة تحديدا كل الكوارث التي أدّت بها إلى التخلف "**[37] ، ويرجع سبب اللهو في العمل إلى عدة أسباب ، يربطها دائما بالاستهتار بقواعد الشريعة الإسلامية يقول في ذلك : **" إنّ المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادىء القرآن ، و مع ذلك فمن الأصوّب أن نقول : إنّه يتكلم تبعا لمبادىء القرآن ، لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي "** [38] ، ومن هذا المنطلق يعقد "**بن نبيّ**" مقارنة بين الرجل الأوروبي العامل وبين المسلم العامل حتى يبرهن مسلّماته أكثر عن ماهية العمل ومعيقاته في البلدان المسلمة ، يرى "**بن نبيّ**" في تحليله لهذه الظاهرة أنّ : **"الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ، ولكن منطق العمل والحركة ، فهو لا يفكّر ليعمل إنّما ليقول كلاما مجردا بل أكثر من ذلك ، فهو أحيانا يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثّرا ، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط"**[39] .

إذن من خلال هذا التحليل نستطيع القول أنّ المسلم حالم أكثر من أنّه عامل ، راكد أكثر من أنّه حركي ونشيط ، يتكلم أكثر من أنّه يطبّق ،و لا يطيق حتى الكلام عن النّشاط والحركة ، وعليه فإنّ "**بن نبيّ**" يرى أن من شروط نهضة الأممّ العمل ، أمّة عاملة يعني أمّة ناهضة ، أمّة غير عاملة يعني أمّة خاملة ، و الفرق بينها هو إتقان العمل .

د) الصناعة :

تعدّ الصناعة إحدى عناصر التراث الشعبي التي توارثتها الأجيال وطوّرتها عبر العصور ، وتدخل الصناعة في التنمية الاجتماعية ، فهي تحفظ التراث وتواكب التطورات العصرية الحاصلة ، و"**من المسلّم به أنّ الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه ، وربّما لبناء مجده ، ولكنّها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه "** [40] ، لذلك حرصت الشعوب البدائية على اكتشافها و تطويرها ، لأنّها تسّهل الحياة أكثر وتساعد الإنسان على التقدم

[37] المرجع السابق ، ص96.
[38] المرجع نفسه، ص96.
[39] المرجع نفسه ، ص96.
[40] المرجع نفسه ، ص97.

والازدهار ، إلاّ أنّها كما يرى "**بن نبيّ**" قليلة وتكاد تكون منعدمة في البلد الإسلامي، الذي لا يهتم بالصناعة على عكس المجتمع الأوروبي ، الذي دائما يقارنه "**بن نبيّ**" مع المجتمع العربي الإسلامي ، قصد الاقتداء به في جوانبه الإيجابية و خصوصا في جانب البناء الحضاري والثقافي ، لقد اختار "**بن نبيّ**" مثالا انتقى فيه مهنة مهمشة جدا في العالم الإسلامي ، وينظر إليها نظرة الازدراء وقارن مكانة هذه المهنة في البلاد المسلمة مع مكانتها في البلاد الأوروبية ، إنّها مهنة "**الرعيّ**" يقول :"**والراعي نفسه له صناعته ، ومما يدلّنا على القيمة الاجتماعية لهذه الحرفة المتواضعة الزهيدة ، أنّ لها مدرسة وطنية في فرنسا بمدينة (رامبوليه) من ضواحي باريس ، فلو رأينا الراعي الخريج من هذه المدرسة والراعي عندنا ، يقود كل منهما قطيعه ، لعلمنا أي فرق بينهما ؟**" [41]، الفرق بينهما العلم والخبرة وجودة تسيير الحرفة ، كل شيء منظم في أوروبا وكل شيء يتمتع بالعبث في البلاد المسلمة ، هذه هي الفروق التي توصلّ إليها المفكّر ، لذا ثقافة العمل تخضع لثقافة الصناعة ، وثقافة الصناعة تخضع لثقافة الذوق الجمالي ، والذوق الجمالي يخضع لثقافة الأخلاق ، لذلك ربط "**بن نبيّ**" بين هذه العناصر الأربعة ، وجعلها تشكّل ثقافة شعب يسمو دائما وأبدا إلى التقدم والازدهار لا التخلّف و الرجوع إلى الوراء .

و)– وظائف الثقافة عند مالك بن نبي :

لم يغفل "**بن نبيّ**" عن الجانب الوظيفي للثقافة ، بل بالنسبة له "**الثقافة**" ذات وظائف مهمّة في المجتمع ، تتسم بالتعدد والتنوع والجودة حتى تضمن مجتمعا محافظا على ماضيه و على حاضره ، و على مستقبله ، ويرى "**بن نبيّ**" أنّ أساس كل ثقافة وحضارة هو الرجل والمرأة فهما يشكّلان المجتمع ، ومن بين وظائف الثقافة حسب منظوره:

1– الوظيفة الاجتماعية :

" لكلّ ثقافة نظامها الدلالي الخاصّ التي تعبّر به عن تلك الدلالات ، فاللّباس مثلا هو عامل ثقافي حيث يرتبط حجمه ولونه وطريقة ارتدائه بثقافة معيّنة ، نفس الشيء بالنسبة للطعام فهو في حدّ ذاته يمثّل نظاما ثقافيا يحتكم إلى قواعد ثقافية تفرضها المؤسسة الاجتماعية " [42] ، وقد نبّه "**بن نبيّ**" لهذه النّقطة وذلك من خلال اعتباره أنّ "**الثقافة**" لا تخرج عن نطاق عقلية وعادات وتقاليد المجتمع ، لذلك أعطى عدّة أمثلة عن ثقافة شعوب هي بالنسبة لشعوب أخرى ثقافة غريبة وشاذة وخارجة عن المنطق ، ولكنّها في الحقيقة هي ثقافات ميّزت شعوبا عن شعوب أخرى ليحدث ما يسمى بالاختلاف الثقافي ، الذي لابد منه حتى يكون هناك تشعّب واستمرارية

[41] المرجع السابق ، ص97.

[42] لونيس بن علي، الهوية الثقافية من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحوارية ، دار الألمعية ،ط1 ، 2014، ص176.

وتبادل ثقافي معرفي ، لذلك ضرب المثال بامرأة "**الكونجو**" فقال :" **المرأة من قبائل الكونجو حينما تشقّ شفتيها لتركّب فيهما قرطين من نحاس ، إنّما تقوم –كما يقولون اليوم– بعملية تجميل مطابقة لتطور وسطها** "[43] ، ثم أعطى المثال بالمرأة الصينية ، التي تتمتع هي الأخرى بثقافتها الخاصة ، " **المرأة الصينية المعاصرة " لسون يات سين" ، التي كانت في طفولتها تضع قدميها في قالب من حديد حتى لا يزيد طولهما عن قدر معين ، إنّما هي في هذا تتجمّل بمثل هذه العملية القاسية** " [44] ، إذن تأخذ الثقافة طابعها الاجتماعي ، فهي لا تخالف عقائد المجتمعات ، بل تكون موافقة لها مثلا زينة امرأتي الكونجو والصين بالنسبة لهما قمة الجمال والتزين، و بالنسبة لشعوب أخرى هي عمليات قاسية ترتكب في حق المرأة .

2– الوظيفة الأخلاقية :

{إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه }[45] ، ترتبط الأخلاق بالقول والفعل **و** من أهداف الثقافة هي تحقيق القيم السامية والفاضلة وتهذيب الذوق العام ، إذ أنّه لا شذوذ في ثقافة تعتمد على أخلاق ،و يرى "**بن نبيّ**" " **أنّ الثقافة تمنح الأولوية للمبدأ الأخلاقي** "[46] ، فالعالم العربي المسلم رغم إسلامه يفتقر لهذه القيّم " **لقد ظنّ كثير من المسلمين أنّهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلّفهم بذل دم ولا مال ، وانتظروا على ذلك النصر من الله ، وليس الأمر كذلك فإنّ عزائم الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام** " [47] ، لم يربط "**بن نبيّ**" الأخلاق بالعمل فقط بل بالذوق و الجمال أيضا ، الذي يتمتع به مجتمع دون غيره لذلك نجد "**بن نبي**" يقارن بين نموذجين اثنين مختلفين في الثقافة والتوجه الفكري والأخلاقي والجمالي ، هذان النموذجان كان موضوعهما المرأة كرمز ثقافي يقول :

– النموذج الأول : " إنّ المجتمع الغربي قد مارس من بين فنونه فن التصوير ، وتصوير المرأة العارية على الخصوص بسبب الدافع الجمالي "[48] يقصد هنا النحت نحت تماثيل عارية للنساء بدافع الحضارة وتصوير ثقافة الأمة الغربية ثم ينتقل ليستدل بمثال " **إنّ تطور الملابس في المجتمع الغربي ، قد انطلق من نقطة معينة هو**

[43] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص99.
[44] المرجع السابق ، ص 100.
[45] القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية 10.
[46] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص104.
[47] الأمير شكيب أرسلان ، لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّ غيرهم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، ط2 ، دت ، ص47.
[48] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص10.

إبراز جمال المرأة في الشارع بكل ما يمكن أن يوضح مظهره "[49] هنا يريد إيصال فكرة أنّ الأخلاق ترتبط بالجمال فالعريّ ينقص جمال المرأة ويقلل من أخلاق الأمة التي تسعى لذلك .

– النموذج الثاني : يرى "**بن نبيّ**" أن فن النحت مغيب في الحضارة الإسلامية " **لا نرى الفنّ الإسلامي قد خلّف آثارا في التصوير كذلك الذي نشاهده في متاحف الحضارة الغربية "**[50] وهذا يهدف إلى غرض معين هو إعطاء صورة مغايرة لفكرة جمال المرأة وهو جمال المرأة في الستر " **نجد أنّ تطور الملابس في المجتمع الإسلامي قد اتخذ اتجاها مخالفا تمام الاختلاف إذ يهدف أساسا بوسائل (ملاية اللّف) أن يخفي جمال المرأة في الشارع** " [51] يخفيه ليبرز جمالا من نوع آخر .

3– الوظيفة التاريخية :

الثقافة وسيلة تحفظ تاريخ الشعوب كما تحفظ التراث الشعبي ، وقد رأى "**بن نبيّ**" أنّ الثقافة هي صناعة للتاريخ إذ قال : " **الثقافة كالشيء الذي يصنع التاريخ** " [52] ، فهي أساليب حياتية اتخذها الإنسان في فترات مختلفة من الزمن ،"**فالعباءة مثلا ورثتها لنا بيئة تميل بروحها إلى التنعم والهدوء** " [53] ، والعباءة إحدى رموز الحضارة العربية والجزائرية ، ومن هنا نجد أنّ العباءة لم تصنع هكذا عبثا إنّما صنعت لأنّها ناسبت الطبيعة الثقافية للمكان والتي تميل إلى الستر والراحة والهدوء ، هكذا اختصرت العباءة ثقافة شعب ما في زمن ما أصبح من الماضي فرسخت بدورها ثقافته الماضية .

4– الوظيفة التطورية :

الملّبس كما ذكرنا سالفا يعبّر عن ثقافة مجتمع ما ، فلا يوجد ملّبس لم يطرأ عليه فعل التطور ولا توجد ثقافة لم تتطور ، و من هذا أعطى "**بن نبيّ**" أمثلة في التغير والتطور الثقافي من بينها مثلا أنّ: " **الشعب الياباني قد بدأ يتغير ملبسه عندما دقّ بابه (الكومودور بيري) قائد الأسطول الأمريكي عام 1853 ، لأنّه أدرك أنّ لا مناص له من الخروج من ذلك الطور العتيق إلى الحضارة الحديثة ، وفهم أنّ ذلك يقتضيه التخلي عن عباءته**

[49] المرجع نفسه ، ص102.
[50] المرجع السابق ، ص102.
[51] المرجع نفسه ، ص102.
[52] المرجع نفسه ،ص 84.
[53] المرجع نفسه 102.

الحريرية المسماة (بالكيمينو) ، لكيّ يلبس ذلك اللباس الأزرق القطني الذي يناسب عامل الميكانيكا " [54] ، إذن الثقافة تطورية خاضعة لقانون التغيير والتغيّر مناسبة لعصور الحياة المختلفة ، معبّرة عن عقليات الشعوب ومدى تكيّفها مع الحياة .

ز)– معيقات الثقافة عند مالك بن نبي :

لم يتجاهل "**بن نبيّ**" معيقات الثقافة فكتب كتابا كاملا وعنونه بـ " **مشكلة الثقافة**" ، دعا من خلاله إلى التمعّن في مفهوم الثقافة وما تتأسس عليه وما يحفظها ويبقي استمراريتها ، وكذلك دعا إلى الانتباه إلى ما يهدّمها وسمى كل ما يدمر الثقافة بـ "**ما ضد الثقافة" L'anti culture**" ، وضّح من خلاله المعيقات التي تصيبها ، وصنّفها بالمعيقات الداخلية والخارجية ، وأكدّ من خلالها وجوب محاربة هذه الظواهر حتى لا تؤدّي إلى كوارث .

1– المعيقات الداخلية :

لقد استند "**بن نبيّ**" في دراسته لهذه الظواهر إلى الآية القرآنية التي تقول : **{إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }** [55]، وأكدّ على تطبيق الآية و العمل بها لا مجرد لفظها فقط "**نقولها باعتبارها علما ، ولا نقولها فقط تبركا بآية "**[56] ، هذا لأنّ أي أمة تريد النهوض أو أي فرد " **لا يمكنه أن يغير شيئا في الخارج إن لم يغيّر شيئا في نفسه "**[57] ، إذ اعتبر هذه القضية خطرا أخطر من كل هجوم خارجي لذلك قال : "**ولكن يضاف إلى هذا الخطر وهو يأتي من الخارج ، خطر يأتي من أنفسنا "**[58] ، ومن أجل ذلك أشار "**بن نبيّ**" إلى ثغرات يمكن أن تؤدّي بالأمم إلى الانحدار ، وخصّ بها الشعوب الخارجة من الاستعمار ، إذ رأى أنّ هناك " **وضعا خاصا بالعالم الثالث ، هذا العالم الذي خرج من عصر الاستعمار ليجد نفسه في مواجهة مشاكل تخلّفه"**[59] ،

[54] المرجع نفسه ، ص122.
[55] القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 12-13 .
[56] مالك بن نبي ، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1991، ص 59.
[57] المرجع نفسه ، ص60.
[58] المرجع نفسه ، ص137.
[59] المرجع نفسه ، ص131.

و أوّل ما ركّز عليه "**بن نبيّ**" هو العالم الثالث و أهم نقطة أكد عليها واعتبرها من معيقات الثقافة ، **هي مشاكل تخلفه بعد خروجه من الاستعمار** ، لماذا ركّز "**بن نبيّ**" على هذه النقطة ؟ الجواب اختصره في هذه النقاط الثلاث:

أولا : "أنّ الرجل المتحضر أصبح أكثر همجية ، فمستواه الأخلاقي قد انخفض بشكل ملحوظ".[60]

ثانيا :" أنّ الإنسان الإفريقي لم ير مستواه الاجتماعي قد ارتفع إلى ما كان يأمل أن يرتفع إليه ". [61]

ثالثا: " أنّ إنسان العالم الثالث والإفريقي على وجه الخصوص لم يخدم قضية السلام إذ لم يكن بإمكانه القيام بهذه المهمة "[62] .

ولم يُغفل "**بن نبيّ**" ما يخدم الاستعمار في غيابه بل وجّه نقده للعملاء حينما قال"**نحن في عالم لازال ملطخا بخطيئة الاستعمار إزاء أولئك المشغوفين(بثقافة السيطرة) ، ولا يريدون أن يتيحوا للشعوب التي خرجت حديثا من الاستعمار ، إمكانية تحقيق (برنامج ثقافة) ولا أن يحافظوا على (لا ثقافتهم) بكرا لا يمسها سوء "**[63] ، يقصد هنا فئة من الناس تأثرت بثقافة المستعمر، وصارت تعتبرها إرثا ثقافيا بل تدافع عليها حتى بعد خروج المستعمر من البلاد المستعمرة ، وتعتبر ثقافتها الأصلية والأصيلة "لا ثقافة " يعتبرون أنفسهم بلا تاريخ ولا ثقافة ! ، فأراد المفكّر أن يدعوهم إلى الابتعاد عن فكرة الذوبان في ثقافة الآخر ، وأنّ عليهم المحافظة على ثقافتهم وحتى وإن اعتبروا أنفسهم بلا ثقافة وبلا تاريخ، فعليهم أن يكونوا ذوي شخصية مستقلة معتزّة بنفسها شخصية بعيدة عن التبعية للآخر .

2- المعيقات الخارجية :

لا شكّ "**أن هناك مشاريع حقيقية لما هو ضد الثقافة ، تولد تحت الأشكال والعناوين كافة ، لتجهض بالوسائل المصطنعة أخلاقيا و فكريا ، البرامج التي ينمو في إطارها هذا الرأسمال ويزداد "** [64] ، يقصد المفكر هنا هنا بعبارة "رأسمال" أنّ المال هو ثقافة المجتمع فأي ثقافة هي ثروة للمجتمع ، إن صلحت صلح المجتمع بها وإن فسدت فسد بها ، و هناك من يسعى جاهدا لإفسادها ، وفي هذا المجال يسعى "**بن نبيّ**" إلى إعطاء أمثلة عن هذه

[60] المرجع نفسه ، ص132.
[61] المرجع السابق ، ص132.
[62] المرجع نفسه ، ص132.
[63] المرجع نفسه ،ص137.
[64] المرجع نفسه ، ص137.

المشاريع :"**هناك أفلام وهناك أسطوانات وهناك مجلاّت خلاعية ، وهناك كتب التربية الجنسية ، وهناك أساليب التخنث والترجل ، هناك مجون نشاهده أمام أبصارنا** "[65] ، كل هذه المخططات نلاحظ أنّها تضرب التربية بصفة أولى ، وأنّ هدفها هدف لا أخلاقي ، لأن "**الاستعمار يحاول جهده عزل المعركة عن طاقات المكافحة في البلاد وعن وعي البلاد ذاتها** " [66] ، وذلك من خلال اضطهاد الطبقة المثقفة فيه وفرض الحصار عليها من جميع الجوانب الفكرية المادية والنفسية ، إذ أشار "**بن نبي**" في تمثيله لهذه الطبقة المثقفة إلى فئة منهم سماها "**كتّاب الأدب التقدمي** "، بمعنى أوضح كتّاب الأدب الملتزم المواكب لقضايا عصره لذلك قال :" **ففي الجزائر نشهد بأنّ الكاتب التقدمي ، يقوم بالدور القيّم في فضح وحشية الاستعمار في البلاد المستعمرة وكشفها للرأي العام العالمي** "[67]، هذا الكاتب أو الفرد المثقف بالأحرى الذي له الدوّر الفعّال في الحفاظ على الثقافة الداخلية من خطر الثقافة الدخيلة ، التي هدفها الأساس محو الهوية والتراث الثقافي ، لذلك حرص "**بن نبي**" على توضيح ما يواجه هذه الطبقة من معرقلات لاحظها المفكر ووصفها بالغرابة و ذلك حينما نرى الكاتب التقدمي يدافع من ناحية عن قضايا أمتّه و"**من ناحية أخرى يلتزم الصمت أمام بعض الجرائم الاستعمارية** "[68] ، ولا يتم ذلك بطبيعة الحال إلاّ بضغط خارجي لأنّ المستعمر هدفه الأساس تبديل فكرة بفكرة أخرى ، وتعويض ثقافة بثقافة أخرى ، وذلك بأساليب يقوم بها تجعل الصراع في البلاد المستعمرة صراعا فكريا ثقافيا وماديا.

صحيح أنّ "**بن نبيّ**" طرح المشكلات والمعيقات الثقافية التي يمرّ بها العالم الثالث) ، ولكنه اقترح لهذه المشكلات حلولا ، تخص كل فرد ينتمي إلى بلد تم استعماره وخرج من الاستعمار ، اختصرها في ثلاث نقاط ، يجب أن يتقيد بها إنسان العالم الثالث وهي:"**أن يعرف نفسه ،أن يعرف الآخرين، أن يعرّف الآخرين به** "[69] .

3– مفهوم الثورة عند مالك بن نبي :

أ)–مفهوم الثورة عامة :

"**إن المستعمر يريد منا بطالة يحصل من ورائها يدا عاملة بثمن بخس ..وهو يريد منا جهلة يستغلّهم ..وهو يريد منّا انحطاطا في الأخلاق كي تشيع الرذيلة بيننا** " [70] ، لذلك كانت هناك ثورات وانتفاضات رفضت

[65] المرجع نفسه ، ص137.
[66] المرجع نفسه ، ص137.
[67] مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر دمشق ، 1981 ص11.
[68]مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص11.
[69] مالك بن نبي ، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،المصدر السابق ، ص60.

المستعمر وأهدافه وعملت على محاربته ، لذلك وصف "**بن نبي**" "**نجاح ثورة ما أو فشلها بقدر ما تحتفظ بمحتواها أو تضيعه**"[71] ، كما وضّح أنّ لها مراحل تمرّ بها تنتقل فيها من مرحلة إلى أخرى " **من مرحلتها التحضيرية إلى مرحلة الإنجاز إلى مرحلة الحفاظ على الخط الثوري** " [72] ، ولكي تنجح أي ثورة وجب أن ترتكز على عدّة معاني اعتبرها ابن نبي هي معاني الثورة وأهدافها عندما اعتبر أن :

1– الثورة كرامة:

" **إنّ ثورة تقوم ، لا تكون ثورة حقيقية لمجرد ما تجتهد في نشر العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب ، إذا هي لم تعلّمه كيف يستعيد شخصيته وتلقّنه معنى كرامته** " [73] الثورة بالنسبة له اعتزازا بالنفس واستعادة لما سلبه المستعمر من شخصية ، وهي تمثلّ الهوية والتراث ، حيث ضرب "**بن نبي**" المثل بكاسترو (**الرجل الثوري**) ، عندما فضلّ كرامته على بطنه وعلى مستحقات الحياة المادية حينما قال : " **إنّه لا يليق بكرامة هذا الشعب أن يبقى دائما يطلب العون من الآخرين** "[74] .

2– الثورة إنجاز يقتدى به :

الثورة لا تكون ثورة إلاّ إذا دخلت التاريخ ولا تدخل التاريخ إلاّ إذا كانت مثالا يحتذى به في جميع النواحي، لذلك اعتبر كاسترو أنّ سياسة الاستنجاد التي تخضع لها شعوب العالم الثالث ، ليست في صالحه إطلاقا ولهذا اعتبر "**بن نبيّ** " أنّ ما فعله كاسترو كرامة وإنجازا يحتذى به " **لقد أعطى كاسترو من نفسه القدوة** " [75] ، وهذه القدوة لن تكون قدوة إذا لم تكن تمتلك صفات التأهيل من قوة التحكم والتخطيط .

3– الثورة إنتاج عملي محكم التخطيط :

أي عمل يحتاج إلى تخطيط ، و إذا كان العمل مخططا له فسيحقق الأهداف المرجوة منه ، واعتبر "**بن نبي**" أنّ الثوريين من العالم الثالث هم أناس ذوي حنكة عملية ، لا يقومون بتصرف ما إلا ويحسبون جميع الحسابات له ، فأعطى المثال بكاسترو باعتباره يمثّل شعوب العالم الثالث وذلك عندما وضع خطة بديلة عن سياسة الاستنجاد " **إذ**

[70] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص 153.
[71] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، دار الفكر دمشق ،ط1 ، 1978 ، ص14.
[72] المرجع نفسه ، ص 14.
[73] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، ص24.
[74] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص24.
[75] المرجع نفسه ، ص25.

استبدل بالسيارة التي ورثها عن خصمه السابق (باتيستا) سيارة عسكرية تقتصد استهلاك البترول " [76] ، وعليه يعرف الثوري بفطنته وحدّة ذكائه ، وكذلك يتميّز باستقلالية فكره وحرية تصرفاته .

4- الثورة حرية فكر و تعبير :

أي إنسان في داخله الرغبة في التعبير عمّا يجول في خاطره من أفكار لابدّ من إخراجها للعالم الخارجي ، ومعلوم أنّ الحياة تتسم بحرية الرأي والتعبير، هذه الحرية التي لا نجدها عند جميع الشعوب خصوصا الشعوب المستعمرة ، فهي دائما تعيش في جو يسوده الصمت والكبت خوفا من المستعمر ، لذلك كانت هناك ثورات رفعت شعار الثورة "**حرية فكر وتعبير**" ، اجعله يفكّر دعه يثور ، ومن هذه الناحية اعتبر "**بن نبي**" خروج "**كاسترو**" عن الماركسية " **إنّما هو تمسك رجل دولة بما يراه ضروريا من حرية في الفكر والتصرف** ". [77]

5 – الثورة أخلاق :

"**إنّ ثورة ما لن تستطيع تغيير الإنسان إن لم تكن لها قاعدة أخلاقية** "[78] ، لذلك اعتبر كاسترو النموذج الأخلاقي الثوري ، " **إنّ كاسترو ليس عالم أخلاق و إنّما رجل دولة يعرف قيمة الأخلاق في السياسة** " [79] ، إذن يعدّ المبدأ الأخلاقي من الدعامات الأساسية التي تبنى عليها ثقافات الشعوب فالوضع الفكري و السياسي والاقتصادي و الاجتماعي يستلزم بالضرورة الأخلاق ، والأخلاق مرهونة بتغير الأنفس وصلاحها لذلك دعا "**بن نبي**" إلى فكرة التغير والتغيير والإصلاح ، قصد بناء حضارة تستلزم ثلاثة عوامل في نظره وهي (**إنسان** ، **تراب** ، **وقت**) وإن لم يتم مراعاتها والاعتناء بها في إطار أخلاقي فقد تفشل أي أمة تريد الازدهار والتقدم .

ب)-ماهية الثورة الجزائرية من منظور بن نبي:

[76] المرجع نفسه ، ص 25.
[77] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، ص22.
[78] المرجع، ص25.
[79] المرجع نفسه ، ص25.

لقد اعتبر "**بن نبي**" الثورة كرامة ، حرية فكر وتعبير وأخلاق خصوصا ثورات العالم الثالث التي أعطاها اهتماما كبيرا من حيث التحليل و الدراسة ، ولم يغفل طبعا عن ثورة وطنه الجزائر فدرس جوانب منها أكّد من خلالها ماهية الثورة الجزائرية وجذورها وأهدافها التي دفعت بالشعب للخروج إلى الشارع وضحّها في هذا القول : "**كان خطاب الرئيس (بومدين)الأخير أثناء رحلته في جبال الأوراس قد لفت النظر بصورة عامة ، فالمقطع الذي نال منه هتافا أكبر من الحاضرين هو الذي أشار فيه إلى جذور الثورة الإسلامية** " [80] ،إذن نفهم من هذا القول أنّ الثورة الجزائرية ثورة إسلامية بالدرجة الأولى ، جاءت للدفاع عن مبادىء الإسلام ولحفظ كرامة وشخصية وهوية الشعب الجزائري المسلم ، وعلّل المفكر بناء الثورة الجزائرية بفكرة الدفاع عن الإسلام ، ذلك لأنّ الإسلام يمثل تاريخ المجتمع الجزائري ويمثل الشخصية التاريخية لهذا المجتمع " **لقد هتف الشعب لهذا المقطع ، لأنّه يعيد الثورة إلى إطارها التاريخي الحقيقي ، فالشعب أحس عند هذا المقطع بشخصيته تتحرك في أحشائه**"[81] لذلك كانت الثورة وحدة المجتمع الجزائري بعدما كان " **الاستعمار يطبّق في سياسته إزاء البلد المستعمر روح الحكمة القائلة (فرّق تسد)** "[82] ، ولذلك شددّ "**ابن نبي**" على فكرة التمسك بمبادىء و أهداف الثورة لأنّ "**الثورة قد تتغير إلى لا ثورة بل قد تصبح ضد الثورة** "[83] وفي هذا الصدد أعلن "**بن نبيّ**" نظرية القابلية للاستعمار(colonisabilité)كظاهرة تعاني منها الشعوب التي عانت من الاستعمار من بينها الوطن الجزائري .

ج)–وجوب الثورة الثقافية :

لو حاولنا الإجابة عن سؤال كيف دعا "**ابن نبي**" إلى ضرورة الثورة الثقافية ؟ ، لوجدنا الإجابة في عناوين كتبه "**شروط النهضة ، ميلاد مجتمع ، مشكلة الثقافة ، دور المسلم في ثلث القرن الواحد والعشرين ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،من أجل التغيير** .." كلها كتب تدعو للنهضة والتغيير والثورة الثقافية ، وتحلل الواقع الفكري والمعيقات الثقافية ومشكلة الإصلاح والتغيير والتخلف في بلدان العالم الثالث ، وقد كان توجه الكاتب في كتاباته توجها واقعيا بحتا ،حيث يأخذ الأمثلة من الواقع وينقدها ويحللها ، وقد يسقطها على السلم التاريخي أحيانا ، ويتبّع المقارنة في بعض الأحيان بين ظاهرة واقعية سلبية و أخرى إيجابية ، في مجتمعين مختلفين أو في نفس المجتمع ، ليوضّح الخلل الذي وقعت فيه مجتمعات العالم الثالث يدعو من خلال أفكاره هذه إلى ضرورة الثورة

[80] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر دمشق ، 1985 ، ص77.
[81] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ص77.
[82] المرجع نفسه ، ص77.
[83] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، ص14.

الثقافية ، لذلك نجد المفكر **ابن نبي** لم يترك أي غزو ثقافي إلا ولفت انتباه الشريحة القارئة إليه فنجده يدرس الاستعمار و الاستشراق، كعاملين أساسيين في سياسة الثقافة الدخيلة ، ونجده يطرح في هذا الصدد شروط النهضة إلى التغيير والإصلاح الفكريين ، مركزا في ذلك على الإسلام ودور المسلم في إبلاغ رسالته ، لأنّه يعتبر الحكم الإسلامي والسياسة الإسلامية سياسة ديمقراطية ، " **منذ الآن يجب على الأمبريالية أن تأخذ بعين الاعتبار أنّ العالم العربي قد بدأ ثورته الثقافية** "[84] ولاشك أنّ الإسلام هو الحل البديل لفكرة الأمبريالية في العالم العربي ، " **ورثنا نحن معشر المسلمين ، كما ورثت معنا وفي الظروف نفسها الشعوب الإفريقية الآسيوية ، التي خضعت مثلنا للدول الاستعمارية واحتكت بثقافتها وحضارتها في إطار الاستعمار ، ورثنا من هذا الاتصال بحكم القانون الذي يفرض على المغلوب عادات وتقاليد الغالب ، ورثنا المقاييس المرتبطة بحياة العالم الغربي** "[85] يحاول **المفكّر** دائما الدعوة إلى التأمل في الإسلام وما فيه من فوائد تستطيع تحقيق الثورة الثقافية فحسب رأيه "**فإنّ الديمقراطية مغروسة أولا في ضمير المسلم** " [86].

وعليه فقد دعا إلى الإصلاح والتغيير الذي بناه على عوامل ثلاثة (**إنسان ، تراب ، وقت**) ، حيث يرى أن أساس الإصلاح هو الاستقلالية بعاداتنا وتقاليدنا ، والنهوض بأخلاقنا وواقعنا الاجتماعي ، والابتعاد عن عوامل الضعف والعمل لتحقيق مشروع النهضة الفكرية ، و حتى يتمكّن "**بن نبيّ**" من تأسيس فكرة ضرورة الثورة الثقافية ، أعطى موقفيه من عاملي الغزو الثقافي هذان العاملان هما : القابلية للاستعمار والاستشراق ، أكدّ من خلالهما أفكار وخطط و أهداف المستعمر ، التي تدعو بالضرورة إلى انتفاضة فكرية ، لحماية الهوية والتراث وحتى المصير .

1- موقف بن نبيّ من القابلية للاستعمار :

القابلية للاستعمار هي إحدى عوامل الغزو الثقافي بطريقة غير مباشرة ، تنتج عن طبيعة الفرد الذي تعود على الاستعمار، والذي لا يستطيع العيش باستقلالية عنه ، بل يبحث عن استعمار جديد يسمى بالاستعمار الداخلي وهو ما أطلق عليه "**بن نبي**" اسم (**القابلية للاستعمار**) ، إذ تحمل هذه العبارة كثافة دلالية كبيرة تشير إلى معاني عديدة ترسّخت في نفسية إنسان العالم الثالث ، ومن بين هذه المعاني الكسل العلمي والعملي ، الاتكال والتواكل ، الجمود الفكري وجمود المشاعر، إذ لم تعد هناك لا رغبة ولا حماسة تلتمسها في الشعوب التي عانت من الاستعمار ، بالرغم من أنّ أوضاعها تستدعي العمل والمثابرة والرغبة في مواكبة تطورات العصر ، إلاّ أن "**بن نبي**"

[84] مالك بن نبي ، من أجل التغيير ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ، 2005 ، ص28.
[85] مالك بن نبي ، تأملات ، ص65.
[86] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص79.

رأى كما يرى أي مفكر له دقة ملاحظة ، أن شعوب العالم الثالث يتمتعون بنوع من القابلية للاستعمار، وهذه الظاهرة في اتساع وانتشار رهيب لابد من مكافحته بكل الطرق .

"**إنّ القضية منوطة أولا بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته من حيث نشعر أو لا نشعر** "[87] ، لم يكتف "**بن نبي**" بدراسة ظاهرة الاستعمار ومدى تأثيرها في الشعوب المستعمرة فقط ، بل اهتم و انتقد ما خلّفه الاستعمار من آثار ، أطلق عليها مصطلح القابلية للاستعمار ، هذا المصطلح الذي كان عبارة عن دراسة وتحليل ورؤى نقدية تنتقد عقلية الشعوب الخارجة من الاستعمار ، وقد لاقى رواجا وانتشارا واسعين في الأوساط المثقفة إذ اعتبر النقاد المصطلح ليس بالجديد : "**إن كان بن نبي هو واضع هذا المصطلح الجديد ، فإنّ الأطروحة ليست بالجديدة** " [88] ، ذلك أنه قد سبقه إليه "**بن خلدون**" في قضية الغالب والمغلوب "**كلا العالمين ناقش ضعف الأمة وهزيمتها ورؤيتاهما تكمل إحداهما الأخرى فـ "بن خلدون" تحدّث عن تقليد المغلوب للغالب .. ، والقابلية للاستعمار كما يراها بن نبيّ حالة خاصة تصيب بعض الشعوب فتستخذي للهزيمة وتقبل الاستسلام للخصم والوقوع تحت سلطته** " [89] ، ولاقت فكرة القابلية للاستعمار نقدا من طرف المثقفين الجزائريين، إذ لم يتقبلوها واعتبروها تشكيكا في مصداقية كفاحهم ضدّ المستعمر ، "**إنّ أطروحة القابلية للاستعمار والتي لم تكن منتظرة في سياق الوضع الجزائري أيام الوجود الاستعماري ، كان لها وقع قوي في أوساط الوطنيين ، أدّت إلى ردود أفعال عنيفة من قبل المثقفين ، الذين وجدوا فيها إبطالا لنضالهم ضد الاستعمار وتبريرا للوجود الاستعماري ، وصار بن نبي بمثابة الخائن**" [90] ، والحقيقة أن "**بن نبيّ**" لم يكن خائنا بقدر ما كان محللا ومفككا لما يدور في مجتمعات العالم الثالث ، من بينها الوطن الجزائري الذي خضع لسياسة القابلية للاستعمار هو الآخر بعلم منه أو بغير علم ، لذلك أعطى المفكر رأيا صريحا وربما وجهة نظر سديدة حلل فيها " **كيف يؤثر الاستعمار على الفرد من الخارج ، ليخلق منه نموذج الكائن المغلوب على أمره والذي يسميه المستعمر في لغته (الأهلي)** "[91]، هذا العامل الذي يؤدي بالضرورة إلى عامل آخر هو الاستسلام للآخر ،إذ لا توجد هناك استقلالية في الشخصية ولا في الفكر الجزائري رغم أنّه من المعلوم و المشهور أنّ للجزائر فكرا ضاربا في التاريخ ، هذا الأمر الذي أكدّ عليه "**بن نبيّ**" الذي من طبيعته حينما يحلل لا يحلل هكذا عبثا ، إنّما يؤكدّ آراءه

---

[87] المرجع نفسه ، ص154.

[88] نور الدين بوكروح ،فكر مالك بن نبي القابلية للاستعمار تر: عبد الحميد بن حسان، 19-06-2016، Www.aljazairalyoum.com.

[89] عبد الله بن ناصر ،القابلية للاستعمار بين مالك بن نبي وبن خلدون ، 15-04-2005، Www.alhayat.com

[90] نور الدين بوكروح ،فكر مالك بن نبي القابلية للاستعمار تر: عبد الحميد بن حسان ، المرجع السابق.

[91] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، ص152.

بالأدلة والبراهين وذلك بالإتيان بأمثلة واقعية ، يقول في ذلك مستدلا على وضع الوطن الجزائري القابل للاستعمار : " **الفئة اليهودية في الجزائر قد لقنتنا درسا مفيدا ، فقد رأينا أنّ اليهود أثناء الحرب الماضية كانوا يعيشون ساعات شديدة من الاضطهاد ..كان أبناؤهم ينبذون من دور التعليم وتجارتهم تعرقل بمختلف القوانين وكانوا في هذه الحقبة على وشك أن تصيبهم العوامل التقليدية التي قللت من قيمتنا نحن المسلمين ، غير أنه سرعان ما قام اليهود برد الفعل**"[92]، لقد بنى اليهود المدارس وعمروا المعابد وعاشوا حياتهم غير مستعمرين ، " **ولقد كان نجاحهم منطقيا ، فإنّ أنفسهم لم تكن معلولة من باطنها** "[93] ، هذه القضية كما سماها المفكر هي قضية من القضايا الكبرى لا محالة تستوجب حلولا جذرية ولعلّ "**الحل في رأي بن نبيّ هو التغيير الاجتماعي والإصلاح الفكري**"[94]، هو الإصلاح الذي يستوجب ثورة ثقافية في أقرب الآجال .

2–موقف بن نبيّ من الاستشراق :

يعد الاستشراق أحد عوامل الغزو الثقافي ، وقد انتبه "**بن نبيّ**" إلى هذا العامل فأنتج كتيبا عبارة عن بحث قصير وسمه بعنوان " **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**" ،" **أبدى فيه رأيه حول الاستشراق والمستشرقين في البلدان الإسلامية والمستشرقين حسب رأيه هم : "الكتّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية** " [95] ، إذ لم يكن استشراق الغربيين بريئا بل كان عبر مراحل ، ففي بدايته جاء على شكل استكشافات للثقافة والحضارة الإسلامية ، ثم بدأ بالتغير ليصبح الاستشراق أحد عوامل تطبيق الخطط الاستعمارية ، وبث الفكر الاستعماري الغربي ، " **إنّ أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها فكانت في مرحلة القرون الوسطى تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته من أجل إثراء ثقافتها ...وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنّها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي** "[96] وقد صنّف "**بن نبيّ**" المستشرقين إلى صنفين :

[92] المرجع نفسه ،ص 154.
[93] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ،المصدر السابق ، ص154.
[94] أحمد المسلماني ، القابلية للاستعمار 09-05-2011، www.almasryalyoum.com.
[95] مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دار الإرشاد ، بيروت ،ط1، 1969 ، ص 05.
[96] المرجع نفسه ، ص 8-9.

أ)– مستشرقين حاقدين على الحضارة الإسلامية : هدفهم الوحيد التزود من ثقافتها وعلومها ثم تدميرها ، ليكون الغالب الوحيد المسيطر على الثقافة العالمية هو الحضارة الأوروبية ، وهم " **طبقة القدماء مثل جربر دورييأكو ،القديس توماس الإكويني ، وطبقة المحدثين مثل كاره دوقو ، و جولدتسهير** "[97].

ب)– مستشرقين مادحين للحضارة الإسلامية : " المستشرقين المادحون مثل رينو ، الذي ترجم جغرافيا أبي الفداء ..، ومثل آسين بلاثيوس الذي كشف عن المصادر العربية للكوميديا الإلهية"[98] ، و لأنّ الاستشراق هو امتداد للحضارة الغربية في الحضارة الإسلامية ، فقد دعا المفكر إلى ضرورة حماية الكيان الثقافي للشعوب المسلمة ، فقد كان موقفه منه هو التصريح بشناعة هذه الظاهرة ومدى تأثيرها القوي على العالم الإسلامي من حيث الاستدمار الفكري ، ورغم أنّه بيّن صنفي المستشرقين من مشوهين للحضارة ومادحين لها ، إلا أنّ موقفه ظلّ معارضا لسياسة الاستشراق لأنّه يدرك تمام الإدراك أنها مهلكة للعالم الإسلامي في جميع جوانبه الحياتية ، سواء في الاقتصاد أو السياسة أو الفكرية ، لذلك كان يدعو إلى ضرورة الفطنة لما يخطط له المستعمر فيقول :" **وبكلمة علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار ، حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي** " .[99]

ختاما نلاحظ من خلال بحوث "**بن نبيّ**" التي دارت حول ماهية الثقافة وأزماتها ، وحول الثورة ومعيقاتها من قابلية للاستعمار و خطط خارجية استعمارية ، أنّه لم ييأس أبدا من فكرة بناء حضارة إسلامية ذات دعامة فكرية وثقافة شعبية متمسكة بالأصل نابذة لكل ثقافة دخيلة ، إذ رأى أنّ الأمة الإسلامية تمتلك المقومات لتخطي هذه الأزمة الثقافية ، لذلك نجده يطرح سؤالا: **كيف نبني مجتمعا أفضلا ؟ ثم يجيب عليه " إنّ علينا أن نكوّن حضارة أي أن نبني لا أن نكدّس"**[100]، ففعل التكديس هو الذي أدى بالأمة الإسلامية إلى الانحطاط ، في الجانب العملي وفي الجانب الفكري و الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، ولو استبدل هذا الفعل بفعل البناء لكانت الأمة الإسلامية اليوم وشعوب العالم الثالث خصوصا في أوج حضارتهم مواكبين للتطورات العصرية ، وما نلاحظه كذلك هو أنّ المفكر كان ذا نزعة تفاؤلية لم ييأس إطلاقا من فكرة النهوض بالأمة الإسلامية ، وقد وافق إيمانه هذا إيمان أحمد مطر حينما قال " **الإحباط القاتل حقا هو أن أفقد إيماني بالناس تماما ، وذلك أمر لم يحدث ، فأنا على**

[97] المرجع نفسه ، ص05.
[98] المرجع نفسه ، ص7-8.
[99] مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ص48.
[100] مالك بن نبي ، تأملات ، ص 169.

يقين بأنّ هذه الأمة ستنهض ذات يوم ، و أنّها لابد من أن تفرد كفها لتحتوي وجه هذا الخزي والهوان بصفعة يطير لها صواب الدنيا " [101].

من خلال ما تم تقديمه فيما سبق نستنتج أنّ :

– "**بن نبيّ**" أحاط بمفهوم الثقافة ، هذا المفهوم الذي يعرف كثافة دلالية كبيرة من ناحية المعنى حتى أنّك لا تستطيع الإلمام بمفهوم جامع مانع له ، وما يلاحظه المتتبع لفكر **ابن نبي** أنّه لم يركز على مفهوم الثقافة بقدر ما ركزّ على تطبيق مفهوم الثقافة في المجتمعات المسلمة التي تعاني في نظره من تخلّف كبير .

– ركزّ "**بن نبيّ**" في تحليله لمفهوم الثقافة على عناصر أربعة وصفها بالدستور فأول الدساتير في نظره الدستور الأخلاقي، ثانيها الدستور الجمالي و الذوقي ،ثالثها الدستور العملي ، و رابعها الدستور الصناعي . لم يحدد **ابن نبي** هذه العناصر هكذا عبثا إنّما وضعها وفق دراسة عميقة لأوضاع مجتمعات العالم الثالث وذلك لأنّه رأى أنّها تخدم هذه المجتمعات بوظائف اجتماعية غرضها تطوير المجتمعات . وظائف أخلاقية ذوقية جمالية وتربوية غايتها تهذيب الذوق العام وتربية المجتمعات على الأخلاق لضمان الإتقان والجودة في جميع مناحي الحياة سواء عمليا أو علميا أو حتى سلوكيا .

– ما انتبه إليه "**بن نبيّ**" كأي مفكر هو المعيقات والمشكلات التي تعتري العالم الثالث والشعوب المسلمة خصوصا هذه المعيقات بطبيعة الحال فعمل على تفكيكها وتحليلها وإبرازها للرأي العام ، بل الأكثر من ذلك راح يعطي حلولا لمشاكل تكاد توصف بالكارثية مثل مشكلة الاستعمار، مشكلة القابلية للاستعمار ، مشكلة الاستشراق والكثير الكثير من المشاكل التي لم تسنح لنا طبيعة هذه الدراسة إيرادها كلها إلاّ أننا نجد هذا المفكر لم يغفل عن ذكرها ولا الإشارة إليها وعرض حلول لها ومن بين تلك الحلول الدعوة إلى ضرورة الثورة الثقافية لضمان المحافظة على الكيان الثقافي وسط كل تلك الآفات .

– ما يحسب لـ"**بن نبيّ**" أنّه شمولي المعرفة والثقافة تجده يعرض مجموعة من المشكلات ويأتي بالكثير من الأمثلة على حججه ودراساته من مختلف الثقافات ومختلف العصور وتم ذكر ذلك في هذه الدراسة .

– يعدّ توجه الكاتب توجها واقعيا إذ يلتزم الواقعية في كل مؤلفاته سواء الفلسفية الاجتماعية أو حتى الواقعية .

[101] هاني الخيّر ، أحمد مطر شاعر المنفى واللحظة الخارقة دار فليتس للنشروالتوزيع ، الجزائر وزارة الثقافة ، 2009 ص05.

– أسلوب الكاتب بسيط في متناول العامة مع تميزه بالمقارنة إذ أنّه حينما يعرض عليه مشكلة لاحظها في العالم الثالث ويحاول أن يدعو إلى إصلاحها أو يدعو للنهضة من هكذا تخلف ، يدعم حجته بأمثلة يتّبع فيها أسلوب المقارنة ، وهو ما يميّز الكاتب فعندما يعرض رأيه ويدافع عنه يقوم بالمقارنة كحيلة إقناعية يكسب بها تأمل القارىء أكثر في كتاباته .

– يركز "**بن نبيّ**" في دراساته على فكرة النهضة وفكرة الثورة الثقافية ، وفكرة الاستقلالية بالذات عن الآخر وعدم الذوبان في ثقافة الآخر ، بل يرى أنّه من العيب أن يكون هناك نوع من التبعية لدى الشعوب ، رغم أنّ جميع كتاباته ومؤلفاته تقريبا كتبها باللغة الفرنسية وهو جزائري الأصل والثقافة ، كتابته بتلك اللغة لم تكن انجرافا للآخر أو حبا فيه بل حبا لوطنه ودفاعا عن الشعوب التي عانت من الاستعمار الخارجي والداخلي فاستخدم اللغة الفرنسية كأداة دفاع عن هويته وتراثه وكينونته الجزائرية والإفريقية والمسلمة .

– ما لا يمكن أن يستصيغه بعض قرّاء هذا المفكر هو أنّه شمولي المنهج والدراسة بمعنى أنهّ يتحدث عن الكثير من الإشكاليات في تحدثه عن إشكالية واحدة ، فعندما يتوقف مثلا في إشكالية يشرح بطريقة مكثفة حتى تنسى أنت الموضوع الرئيس إذ يتمتع أسلوبه بالإطناب والشرح الكثيف لا الاختصار وربّا يرجع السبب إلى أنّ الكاتب فلسفي التوجّه لذلك طبعت عليه الفلسفة كثيرا في كتاباته .

وعليه فقد أفادنا "**بن نبيّ**" كثيرا بطرح مشكلات عصرنا بل مشكلات قد تتجاوز عصرنا إلى عصور تلينا وعمل على تحليلها و محاولة إيجاد حلول لها حتى نتخلص من تخلفنا ونكون مثل غيرنا أمة متطورة تسمو للتقدم والازدهار.

الفصل الثاني :

التمثلات الثقافية معادل

ثوري نهضوي

يعدّ الفن السردي من الفنون التي تعبّر عن واقع المجتمعات ، " **فالأدب هو نتاج بيئة المبدع وظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والحضارية ، وهو كذلك إفراز من إفرازات الحياة المجتمعية القائمة على التناقضات الجدلية والصراع الطبقي والتفاوت الاجتماعي وبالتالي يعبّر الأدب عمّا هو مجتمعي** "[1] ، ومن هذا المنطلق يكون الأدب وثيقة اجتماعية تسجيلية للوقائع والأحداث بأسلوب فني أدبي ، لذلك اعتمد "**بن نبي**" في بداية تأليفه للكتب على هذا النوع من الفن السردي لتوصيل أفكاره ، وتصوير مجتمعه ، ونقل أوضاعه بطريقة فنيّة فألّف رواية " **لبيّك حج الفقراء** " ، ولأنّ المجتمع هو عنصر مهم لدى "**بن نبيّ**" فقد اختار أن تبنى روايته عليه ، هذه الرواية التي صورتّ واقع الجزائر والمجتمع الجزائري إبّان الاستعمار الفرنسي ، ونقل من خلالها التطورات التي طرأت على المجتمع وفق رؤية نقدية تحليلية ، و قد عمل على تقديمها للقارئ بأبسط أسلوب ، و تمكّن من إبراز ثقافة المجتمع الجزائري في فترة استعماره ، بدءا من العنوان إلى المتن الروائي ولعلّ أهم ما ميّز رواية " **لبيّك حج الفقراء**" هو فكرة التمثلات الثقافية ، التي وظّفها الكاتب كمعادل ثوري نهضوي ، و التمثل بمعنى التجسد أو التصور والتمثلات الثقافية هي التجسيدات الثقافية من (**هوية ، تراث ، لغة ، دين، لباس ، عادات وتقاليد الأنا والآخر** ..) ، وكلّها أنساق ثقافية تتضمن رؤية نقدية معينة يحاول الكاتب توظيفها من أجل تمرير رؤاه بطريقة ضمنية مضمرة ، ويعرّف"**عبد القادر الرباعي**" الأنساق الثقافية بأنّها : " **تلك الأدلّة والمرجعيات ، داخلية كانت أم خارجية ، هي التي تتعلق بمختلف الأمور والمظاهر المناسبة لبيئة المؤلف الثقافية والسّمات الشخصية والمؤثرات السابقة وكذلك الأعراف الأدبية والنوعية التي كانت في متناوله** "[2] ، بمعنى أنّ الأنساق الثقافية هي تلك الدلالات النسقية التي تحمل مستويات ظاهرة ومستويات باطنة ، وتكشف المضمر والمسكوت عنه ، وهي التي تؤدي بالقارئ إلى فهم عمق النص وفهم الأفكار التي يريد الكاتب إيصالها في قالب أدبي فني .

---

[1] جميل حمداوي ، سوسيولوجيا الأدب والنقد ،Www.almothaqaf.com.

[2] عبد القادر الرباعي جماليات النقد الثقافي نحو رؤية الأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي، دراسات أحمد خمّال المزاريق، دارفارس ، بيروت ط1، 2009 ، ص 19.

ويرى "**عبد الله الغذامي**" أنّ لكل نسق وظيفته : " **إذ يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد**"[3] ، أي أنّ النصوص الأدبية عبارة عن قراءة ذات وظيفة ورسالة معينة ، وليست مجرد تعبيرات جمالية أو بلاغية بلا هدف ، وأكثر ما ميّز "**بن نبي**" في روايته "**لبيّك حج الفقراء**" هو توظيفه للأنساق الثقافية كمعادل ثوري نهضوي ، يريد به عرض فكرة معينة على القارىء هي وجوب الثورة الثقافية ، هذه الثورة الثقافية لن تتجسد إلّا من خلال التمسك بما يجسد الثقافة من هوية تراث ، دين .. ، وما يلاحظه القارئ أنّ رواية " **لبيّك حج الفقراء**" قد تضمنت الأنساق الثقافية من العنوان إلى المتن .

1-الأنساق الثقافية على مستوى العتبات النصية :

" **تعدّ العتبات النصية نصوصا خارجية عن النص المتن ، على الرّغم من اتصالها به فالعتبة مبنية على جدلية الاتصال والانفصال ، حيث يعتبر العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية والتمهيد وصفحة الغلاف والإهداء والملاحق ..عناصر مكمّلة للنص** " [4]، و بما أنّ العتبات النصية عبارة عن نصوص و لأنّ كل نص يتضمن دلالة و كل دلالة تحيل على أنساق ثقافية ، فقد عمد الكاتب إلى الإشارة إليها ، ويمكن استخراج بعض من التمثلات الثقافية في هذه الرواية من خلال العتبات النصية ، ولعلّ أبرز نسق ثقافي سيطر على العتبات (**العنوان وصورة الغلاف**) هو الدين .

[3] عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 2005، ص77.

[4] قدوش زينب ، ترجمة العنوان الروائي بين الدلالة والإشهار ، مذكرة ماجستير جامعة وهران أحمد بن بلة 1 معهد الترجمة، 2014 -2015 ، ص 10 .

أ)– الدين كنسق ثقافي :

" **الدين هو الإيمان بوجود كائنات روحية وقوى خارقة ، آلهة ، أرواح ، تكون فوق الطبيعة والبشر** " [5]، ولقد كان الدين الحقل المسيطر على مستوى العتبات النصية ويظهر ذلك من خلال بعض المستويات :

1– على مستوى العنوان :

يعدّ العنوان بمثابة عتبة من العتبات التي نستطيع من خلالها فهم النص ، فهو في علاقة اتصال مباشرة بالمتن وبالعتبات النصية الموازية (**la paratextualite**) من غلاف ، إهداء ، عتبة الاستهلال ... لذلك صنّفه **جيرار جينيت** ضمن " **النصوص الخارجية أو الموازية** " **إنّ النمط الثاني" paratexte " يكون عموما أقل وضوحا و أكثر بعدا ويقيّمها النص في العنوان ، العنوان الصغير ، العناوين المشتركة ، المدخل ، الملحق** .."[6] ، فهو بمثابة اختصار لمضمون المتن ، " **ودراسة العنوان تتأسس عل الكيفية التي ينفتح فيها العنوان على المتن النصي من جهة وعلى الرؤى التي يكثفها المتن من بؤرة العنونة من جهة أخرى** " [7] ، ولذلك يمثل العنوان " **هوية صاحبه ، فهو حلقة الوصل التي تعمل على توجسه من المتلقي** " [8]، ولا شك أن عنوان الرواية التي نعمل عليها عبارة عن عتبة نصية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمتن .

[5] محمد سهيل طقّوش ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النفائس ، بيروت ، ط1، 2009 ،ص 219.
[6] جيرار جينيت ، طروس "الأدب على الأب " ، ضمن كتابات دراسات في النص و التناصية ، تر : محمد خير البقاعي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط1 ، 1998 ، ص127.
[7] عيسلى مروك ، تعالقات العنوان الرئيس بالعتبات الموازية في ديوان "كل هذه التفاصيل " ، لإبراهيم موسى النحاس ، حوليات الأداب واللغات ، المجلد 05 العدد 11 ، كلية الآداب واللغات الشرقية جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر ماي 2018 ، ص265.
[8] شادية شقروش ، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشعب عبد الله ، عالم كتب الحديث ، مصر ، 1994، ص25.

- **من ناحية المبنى :**

هو عبارة عن جملة **" لبيّك حج الفقراء"** :وهي جملة اسمية مكونة من ثلاثة أسماء **" لبيّك"** : جاء مفعولا مطلقا لفعل محذوف تقديره "ألبي " منصوبا وعلامة نصبه الياء لأنّه مثنى والتثنية للتوكيد وهو مضاف والكاف مضاف إليه ، **"حجّ"** : مفعول به لفعل محذوف تقديره "نوينا أو نريد" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، **"الفقراء"** : " مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

- **من الناحية الدلالية** : فقد تضمن العنوان دلالة ، عبارة عن نسق ثقافي ألا وهو الدين .

لقد عرفت الديانات طقوسا معينة مثل الصلاة ، والحج الذي يعتبر **" من أقدم الشعائر التي مارستها الأمم القديمة "**[9] ،ولم يشرّع الحج في الإسلام فقط بل شرّعته وعرفته الديانات الأخرى لما له من مكانة قيمّة ، وقد كان عرب الجاهلية مثلا يحجون إلى مكة قبل الإسلام ولهم تلبياتهم الخاصة بهم والتلبية كلمات مرتبطة بأداء الحج عرفتها الأمم السابقة وعرفتها الأمة الإسلامية ، وهذه الكلمات لها الشأن العظيم في ذكر الخالق فقولك : **" لبيك يتضمن إجابة داع دعاك ، ومناد ناداك ، ولا يصحّ في لغة ولا عقل إجابة من لا يتكلم ولا يدعو من أجابه "** [10] وكانت تلبية الأمة الإسلامية على الشكل التالي : **" لبيّك اللهم لبّيك ، لبّيك لاشريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك"** ، ولقد جاء عنوان الرواية : **"لبيّك حج الفقراء "** على شكل تلبية ، ولا تكون التلبية إلاّ من طرف ينتظر استجابة طرف آخر له ، وكان الداعي فس هذه الرواية جزائري فقير يمثل أنموذجا من النماذج التي عانت من الشتات في حياتها إذ أبرز **"بن نبي"** من خلال هذه الشخصية المختارة الجانب المظلم من الواقع الاجتماعي الجزائري ، فكان العنوان الذي جاء على شكل تلبية اختصارا لتجربة شخصية واجتماعية في نفس الوقت ، فكانت التلبية بمثابة المنفذ و" **لبيّك حج الفقراء** " بمعنى أنقذنا يا رب وخلّصنا و أجب يا رب دعوة ونية

[9] محمد سهيل طقّوش ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، المرجع السابق ، ص451.
[10] عبد الرازق بن عبد المحسن ، دروس عقدية مستفادة من الحج،دار ابن عفان،جمهورية مصر العربية ،ط1، 2000،ص38

الحجاج الفقراء إليك ، وفي هذا يشير "**بن نبيّ**" إلى دلالات عديدة من بينها الحاجة الماسة للدين في الحياة وأنّ الشعب الجزائري لا يفقر إلا لخالقه ، هو شعب قوي ذو أنفة وهذا معنى تتضمنه التلبية وهو معنى الخضوع والذل والمحبة والإخلاص، ولعلّ ما يميز التلبية أنها " **جعلت في الإحرام شعارا للانتقال من حال إلى حال ومن منسك إلى منسك كما جعل التكبير في الصلاة سببا للانتقال من ركن إلى ركن** "[11] ، فكأنّما العنوان الذي يتضمن التلبية هو دعوة من الكاتب للانتقال من حال إلى حال ، من الفقر الاجتماعي والضياع والتشرد والآفات ، بما أنّ الفقر أخطر الآفات الاجتماعية التي تنتج عنها أضرار نفسية ومادية واجتماعية ، ومن الفقر الروحي الذي تعاني منه الأمة الإسلامية جمعاء لا الأمة الجزائرية فقط ، إلى الغناء المادي والروحي ، ولا يتم القضاء على جميع المشاكل التي تعاني منها الشعوب المسلمة إلاّ بالرجوع إلاّ الله ، والرجوع إلى الله لا يكون إلاّ من خلال نداء استغاثة وكانت التلبية مثل الصراخ الذي يخرج من باطن الفرد الذي تأزّم كثيرا في حياته ليفرغ جميع مكبوتاته بالتقرب روحيا من ربه .

2-على مستوى صورة الغلاف:

لم تبتعد دلالة صورة الغلاف عن دلالة التلبية ، فقد جاءت متناسقة منسجمة معه تماما ، فالخط الذي كتب به العنوان " **لبيّك حجّ الفقراء**" متناسبا مع طبيعة التلبية فجاءت كلمة "**لبيك**" مكتوبة بالخط الغليظ للدلالة على قيمتها وحضورها في نفس المسلم ، كأنّها بداية الصراخ والإفراج عن المكبوتات والشكوى وكتابتها بالخط الغليظ دلالة على التأكيد أن المنادي بحاجة للخالق ، فهذا النداء لا رجوع عنه ولاشك فيه ، وظهور لبيّك بتلك الصفة لأنّها تتماشى مع الحالة النفسية التي يكون عليها المنادي من شدّة وعسر حال وتأزم شديد ، فهي تعبير كاف عن تفاقم الوضع وقسوته ، ثم تلتها نقطتان متراكبتان عبارة عن بداية الإفصاح عن الشكوى وعن ما تكنّه الذات من مناجاة للخالق ، أمّا الكلمات ما بعد لبيّك فقد جاءت مرققة فعبارة" **حج الفقراء**" دلّ ترقيق خطها على معنى التذلل والخضوع ، فقد كان النداء مفخما وشديدا في البداية وبصوت مصدع أو حتى يكون على شكل صراخ حيث

[11] عبد الرازق بن عبد المحسن ، دروس عقدية مستفادة من الحج ، المرجع السابق ، ص39.

رسمت كلمة " **لبيّك** "غليظة مستجيبة للحالة النفسية ، وتم ترقيق ما بعدها حتى يناسب وضعا آخر للمستويات والمراحل التي عايشها المنادي ، في بدايته كان هناك قوة وضغط ثم بدأت هذه القوة بالتلاشي والضعف والخضوع والتذلل ليتجسد الشعور بالفقر الروحي بالإلحاح على المدعو كي يلبي دعاءه ، وكان للترقيق في الخط الدلالة الكافية على توضيح الحالة النفسية التي عليها الداعي للمدعو ، وتتجلى بوضوح حينما نقرأ العنوان " **لبيكّ** : حج الفقراء" بنفس الطريقة التي كتبت عليه مغلظة ، والترقيق هنا يؤكد انتقال العبد من حال إلى حال ويعبر عن الشخصية البطلة وهي تنادي هذا النداء وتلبي هذه التلبية داخل جو روحاني يملؤه التبتل والتضرع والابتهال .

بعيدا عن التغليظ والترقيق كتب العنوان بلون أسود ، والأسود له دلالات عديدة من بينها الظلام فالمنادي يعيش في ظلام وتشتت وضياع ويريد التخلص منه بكل الطرق ، وكتب العنوان الذي يحمل معنى التلبية بالأسود كأنّ هناك إشارة لنهاية الظلام بماذا ؟ ، بنداء بصراخ أسود قاتم يعبّر عن حالة المنادي ويعرف الأسود بأنّه لون الحزن و لون الغراب ، الذي يدلّ على الموت في اعتقادات بعض الشعوب ، وهو لون الحداد على الأموات لذلك كأنّ المنادي يتخلّص من حزنه بنداء يشكو به الخالق ، وقد يدلّ الأسود على النقيض تماما ليشير إلى الرفعة والعنفوان والارتقاء ، فكما أنّه لون الغراب الذي يدل على الحزن ويدل على الطيران لأنّه يطير عاليا ، وجاء هذا اللون كالغراب تماما عاليا مترفعا ليدل في التلبية على حالة المنادي الذي ترفّع عن شهوات الدنيا جميعا ، بما أنّ الحج حج فقراء زهاد لم تعد الدنيا وما فيها تغويهم ، وقد صارت نجواهم وشكواهم وهروبهم لله وحده فقط فكأنّما الدنيا أصبحت شيئا هم في غنى عنه مترفعين متعالين عليه .

ثم تأتي خلف هذا العنوان صورة عبارة عن (**غروب شمس وشخص رافع يديه فوق وينظر في الغروب**) ، و ما تحمله هذه الصورة من دلالات هي أنّها تعبّر عن حالة شخص مبتهل لله يدعوه في وحدته بعيدا عن كل ما يشوش تفكيره ، وجاء الغروب ليدل على نهاية المحنة التي هو عليها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يتغير معنى الصورة تماما لتصبح عبارة عن : (**شروق شمس بكرة الصباح مع شخص رافع يديه نحو خالقه**) ، فكأنّما هذا

الشخص يرفع يديه بدعوة صباحية لخالقه كأنّه يريد أن يقول له : اللهم بداية جديدة مثل بداية هذا اليوم ،و إشراقة في الحياة جديدة مثل إشراقة هذا اليوم ، وصفاء في الحياة مثل صفاء تلك السماء ، يختصر هذا الرجاء في عبارة وهي " **لبيّك حجّ الفقراء** " ، والتي تعني : يارب نحن فقراء لمثل هذه الحياة التي تملؤها السكينة والهدوء والصفاء والجّدة والأمل ، نحن فقراء يارب فأغننا بكّ "**لبيّك اللهّم حجّ الفقراء** ".

ليس العنوان وحده متصلا بصورة الشخص أو بصورة الغروب أو الشروق والسماء الصافية ، بل ينتبه القارىء كذلك لاسم الكاتب " **مالك بن نبي**" واسم المترجم "**زيدان خوليف** " وحتى اسم دار النّشر "**دار الفكر**" التي جاءت كلها مكتوبة بلون أبيض ، وهذا يحمل دلالة أيضا وهي أنّ المؤلّف والمترجم والدار لديهم هدف واحد يتناسب مع معنى اللون الأبيض الذي يحمل معنى السلام ، فكأنّما رسالة هؤلاء هي رسالة تدعو للسلام الروحي والإصلاح النفسي فالاجتماعي ولم لا ؟ فمتن الرواية يحمل الكثير من رسائل الإصلاح ، وما العنوان وصورة الغلاف إلا عتبة واختصار له .

وعليه فقد كان الدين أبرز نسق ثقافي هيمن على العتبات النصية ، أراد الكاتب أن يشير به إلى الارتباط بالأصول والتراث والهوية الإسلامية ، لأنّ الدين يمثل الهوية الجزائرية وأنّ الإصلاح الاجتماعي يبدأ بالنفس ، والتي لا يصلحها إلا الرجوع إلى الله وتطبيق تعاليمه ، لذلك حملت هذه العتبات وما تضمنته من عنوان جاء على شكل تلبية وصورة مناسبة لطبيعة التلبية ، دلّت كل هذه الأنساق الثقافية على حمولة ثقافية عبّرت عن طبيعة تركيبة الشعب الجزائري الإيديولوجية والثقافية والسيكولوجي ، ألا وهي الدين هذا الدين الذي عبرّ كثيرا بل و أوضح للقراء طبيعتهم النفسية وطريقة التفكير لديهم بأنهم شعب يميل إلى الروحانيات وشعب مهما تشعبت به الميادين الحياتية فهو شعب يعطي للجانب النفسي ولخلجات الروح حقها من المراعاة وهو شعب يفكّر في وجوده من خلال الأمور الروحانية والإسلام يجيب عن جميع تساؤلاته الوجودية بطريقة روحانية اقتنع بها هذا الشعب منذ زمن بعيد ، فالله عند هذا الشعب هو المنقذ والمنفذ وهو الخلاص من جميع المشاكل النفسية الاجتماعية المادية الإيديولوجية والثقافية .

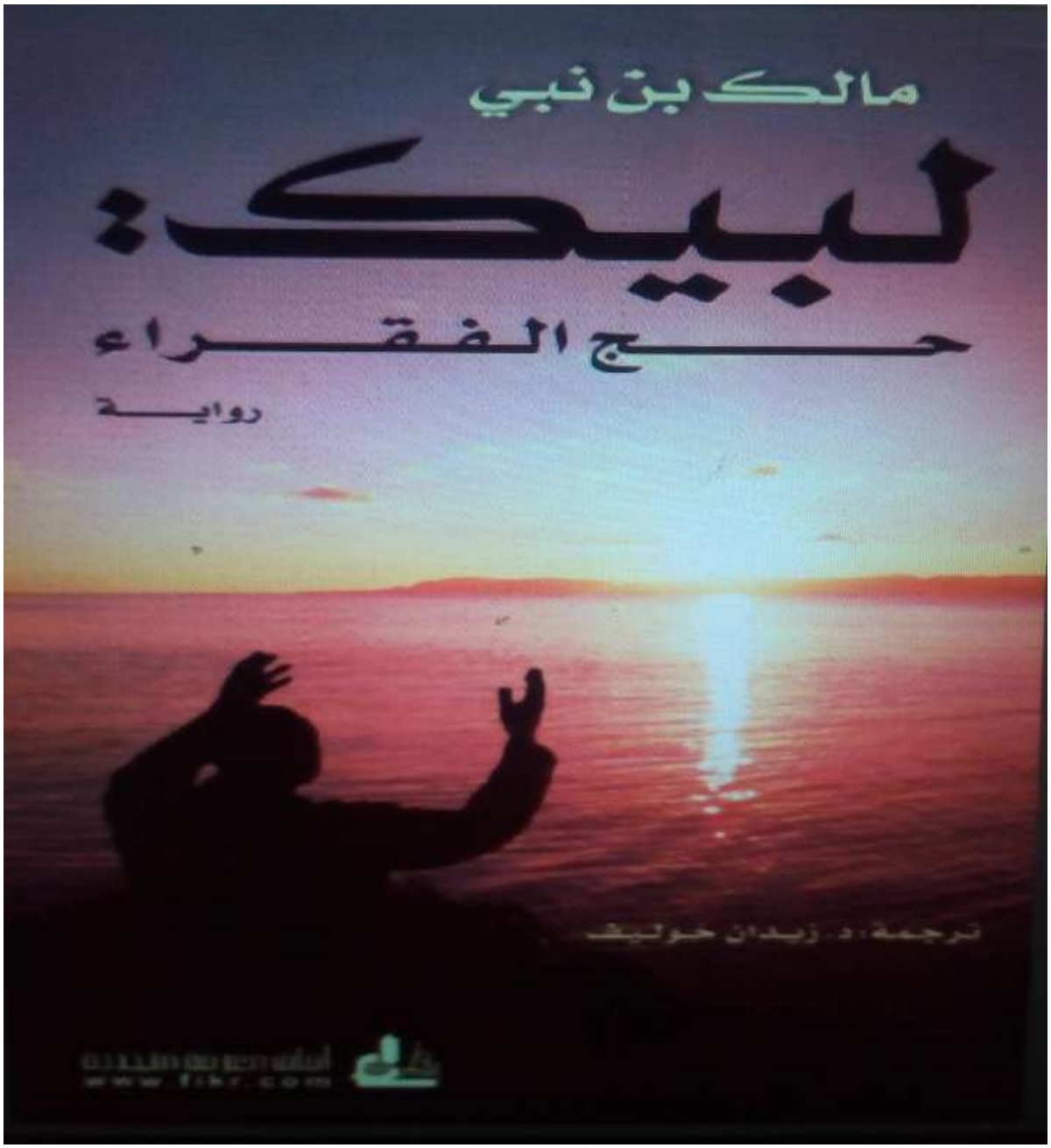

صورة (1) تمثل واجهة غلاف رواية لبيّك حجّ الفقراء مالك بن نبيّ .

2-الأنساق الثقافية على مستوى المتن :

لقد تعدد توظيف التمثلات الثقافية على مستوى المتن ، فقد حمل الكثير من الدلالات التي تحمل بدورها رسائل معينة يريد الكاتب إيصالها للمتلقي ، ولأنّ المتن يتضمن مجموعة من العناصر تشكّل ماهيته وماهية السرد وهذه العناصر تحقق الاتساق والانسجام في النص ، و التي تتكون من (**شخصيات بطلة وثانوية ، مكان وزمان وأحداث..**) ، و تحمل بدورها حمولات دلالية و تجسيدات ثقافية لها أهداف وغايات مثلتها تلك العناصر السردية نذكر منها :

أ)-التمثلات الثقافية على مستوى الشخصية :

تعد الشخصية المحرك الأساس في أي عمل فني سردي ، فهي التي تخلق أحداثه وحواراته وتلك العلاقات بين الشخصيات الرئيسة والشخصيات الثانوية ، و تتحكم في الإيديولوجيات المطروحة بل وتعبّر عنها و تعد بمثابة تجسيدات لرؤى الكاتب وللنماذج البشرية الواقعية والاجتماعية ، كما تحمل في جانبها الفيزيولوجي والإيديولوجي تمثلات ثقافية تعبّر عن واقع ما في عصر ما ومكان ما تحت ثقافة ما ، فالشخصية الروائية " **هي ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرّك الواقع** " [12] ، وتتنوع الشخصيات في العمل السردي من شخصيات بطلة وثانوية ، وفي رواية "**لبيّك حج الفقراء**" تم التصريح ببطلي الرواية "**ولم يكن لدي المتسع من الوقت لأتعرّف على الأشخاص بصورة كافية ، خصوصا الشخصيتين اللتين قامت حولهما القصة وهما الفحّام والطفل اللذان عاشا في مدينة عنابة** " [13] ،و كل شخصية بطبيعة الحال سواء بطلة أو ثانوية كانت عبارة عن تمثّل ثقافي ، لذلك يأتي ترتيب الشخصيات الأساسية والثانوية في رواية " **لبيّك حج الفقراء**" من ناحية الدور الوظيفي والتنوع على الشكل التالي :

[12] نادر أحمد عبد الحق ، الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية ، دار العلم والإيمان ، ط1 ، 2009، ص45.
[13] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء تر: زيدان خوليف ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 2009 ، ص 24.

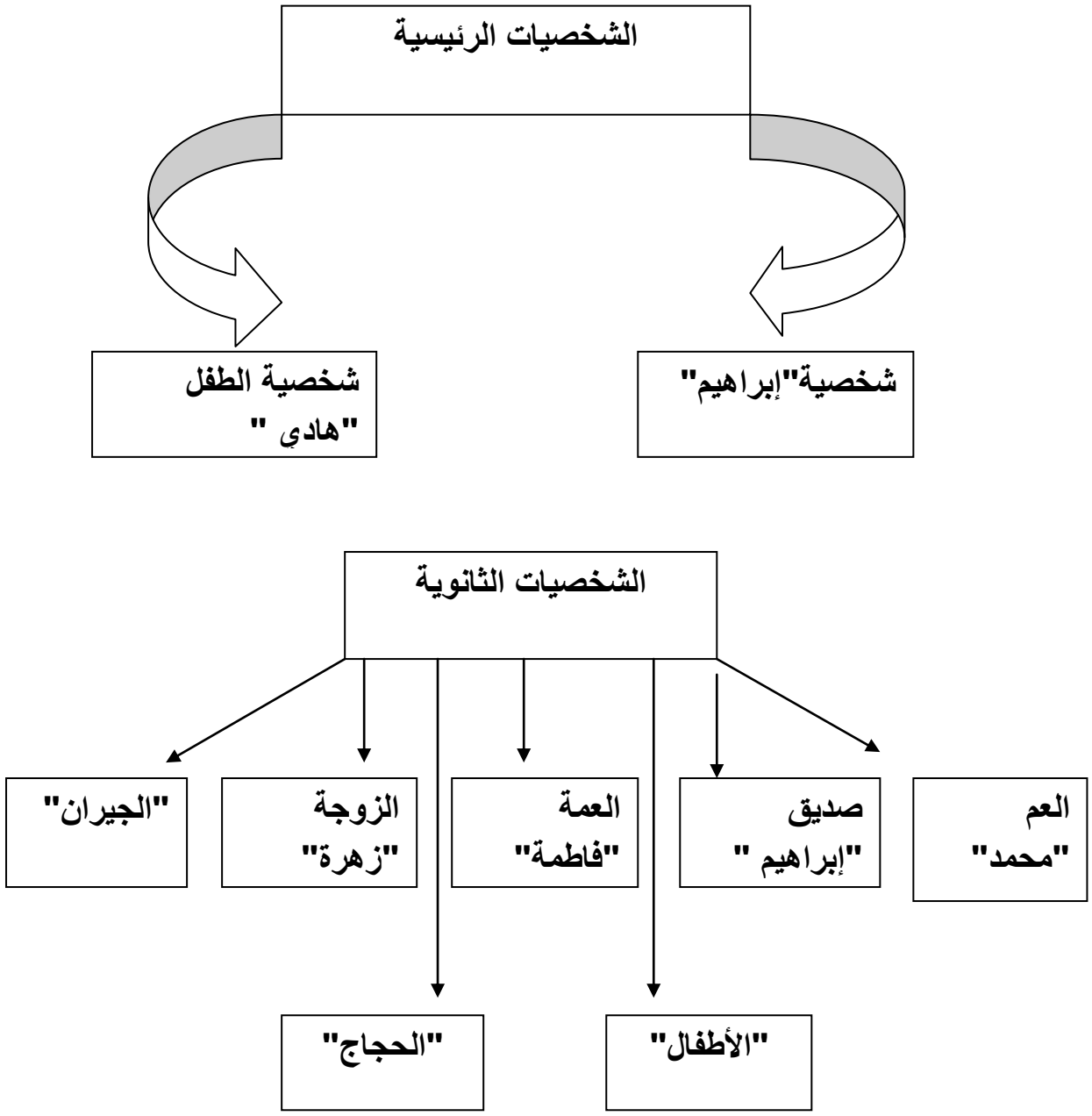

مخطط يمثل : الشخصيات الرئيسية والثانوية في رواية لبّيك حجّ الفقراء .

1)على مستوى الشخصيات البطلة :

تعتبر الشخصية البطلة " **هي موضوع القضية السردية** "[14] وتصنّف حسب وظيفتها إلى شخصية بطلة أو ثانوية " **تبعا لأهمية الدور الذي تناط به الشخصية يمكن أن تكون إما أساسية (الأبطال والممثلون) أو ثانوية** " [15] وقد تم اختيار شخصيتين مختلفتين بطلتين في رواية " **لبيّك حجّ الفقراء**" تختلفان في الفئة العمرية وفي الطبقة الاجتماعية لكنهما تشتركان في سبب التغير والحالة الانتقالية التي طرأت على حياتيهما وأول شخصية بطلة نعرضها هي:

أ)– شخصية "إبراهيم" :

تعد شخصية إبراهيم الشخصية المحورية التي تحكمت في أحداث الرواية وسيّرتها منذ البداية إلى غاية النهاية ، حيث نلاحظ أنّ كل أحداث الرواية وشخصياتها متصلة بها ، فهي شخصية حاضرة دائما ، صوّرها الكاتب من جميع نواحيها النفسية الفيزيولوجية وحتى الاجتماعية ،وحاول من خلال هذا التصوير إيصال معنى ما معين ، يتضح لنا أكثر من خلال تحليل أبعاد هذه الشخصية :

1–البعد الفيزيولوجي :

"**إبراهيم** " رجل يملك ملامح طيبة ، " **كانت سيمات وجهه تتميز بتلك اللطافة** "[16] ، له بشرة خمرية مثل لون بشرة سكان عنابة الأصليين ،"**لون بشرته الباهت الخاص بسكان مدن شمال إفريقية يكشف عن أصوله الحضرية** " [17] ، وأما الفئة العمرية التي ينتمي إليها فهي " **في الثلاثين من عمره** " [18] ، أمّا ملبسه فيدلّ

[14] تزيفطان تودوروف ، مفاهيم سردية ، تر: عبد الرحمان مزيان ، منشورات الأختلاف ، ط1 ، 2005 ، ص73.
[15] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص 75.
[16] المصدر نفسه ،ص 33.
[17] المصدرنفسه ، ص33.
[18] المصدر نفسه ، ص34.

على أنّه من الطبقة البرجوازية الكادحة ، هذا لأنّه كان " **يرتدي مئزرا طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلا حذاء قماشيا ويضع فوق رأسه شاشية متآكلة وعليها دسم القرف**" ، الذي يلاحظ هذه الصفات الفيزيولوجية يفهم أنّ هذه الشخصية شخصية غير مهتمة بهيئتها الخارجية ، شخصية يبدو عليها الفقر نوعا ما والاستهتار رغم أنّها شخصية شابة في كامل قواها وطاقاتها الشبابية ، و تستطيع أن تقدمّ لحياتها الأفضل لكن الشكل أدّى الدور الفعّال في وصفها وجسدّ لنا شباب الجزائر في تلك الفترة ، وما شخصية "**إبراهيم**" إلاّ نموذج مصغر عن حال الطبقة الشبابية من المجتمع ، ولعلّ الكاتب اختار الشخصية البطلة شابة لسبب معين وهو إعطاء فكرة عن شباب الجزائر إبّان الاستعمار ولأنّ الشبيبة تعدّ ركيزة أي مجتمع كان ، فكما يظهر الجانب الفيزيولوجي منها بأنّه جانب مظلم ، جانب مهمل مهمش كما همش **إبراهيم** اهتمامه بجانبه الخارجي ، فإنّ هذا البعد الفيزيولوجي يعبّر لا محالة عن وضع شباب الجزائر إبّان تلك الفترة وعندما أقول شباب الجزائر فإنّني أقول اقتصاد الجزائر ، ثقافة الجزائر ، مجتمع الجزائر ...

2-البعد النفسي الاجتماعي :

اجتماعيا شخصية "**إبراهيم**" شخصيّة يمكن أن تعبّر عنها مهنتها في المجتمع وهي مهنة " **الفحّام**" ، فقد كان صاحب دكان فحم ، أما نفسيا فقد تدلّ عليها سلوكاتها وعاداتها ، فقد كان "**سكّير**"دائم السكر لدرجة أنّه تم تلقيبه "**ببوقرعة** " " **ماذا بعد يا إبراهيم ؟ مرة ثانية ثملا؟** " [19] ، ولكن رغم عادته وسلوكاته السيّئة إلاّ أنه شخص عاطفي يحب الخير ولا يرضى بما هو عليه من سكر ، يرى أنّ السكر أمر ليس بيديه " **آسف عمي محمد إنّه مكتوب على الجبين ، والله إنّه مكتوب** "[20] ، ويرمز السكر إلى حالة التخدر التي عليها الفئة الشبابية المستسلمة لفشلها ولواقعها الكئيب ،فبدل من أن تكون فئة حماسية ذات طموح و أهداف استسلمت لثقافة المستعمر الدخيلة. فالرواية عبرّت عن زمن الاستعمار الذي تعايش فيه المجتمع الجزائري مع عادات وتقاليد المجتمع الفرنسي ، فالمجتمع

[19] مالك بن نبي ، رواية لبيك حج الفقراء ، ص32.
[20] المصدرنفسه ، ص33.

الجزائري بالأصل مجتمع محافظ مسلم الديانة ، الخمر فيه منبوذ والسكّير سيئ السمعة بين أفراد المجتمع ، في حين العكس تماما الخمر هو عبارة عن مفاخرة في المجتمع الفرنسي وهو شراب الطبقات الغنية ، وهنا تكمن الدلالة الثقافية لصفة السكير التي حملتها الشخصية البطلة وهي صفة الذوبان في ثقافة الآخر ، أمّا مهنة الفحّام فتدلّ على الجانب المظلم الذي تعيشه طبقة الشبيبية اجتماعيا وعلى الجانب المظلم كذلك من الناحية النفسية فهي ذات نفسية كئيبة ليست لديها أهداف في حياتها فئة ضائعة جدا في الوقت غير المناسب المفروض تكون فئة مكافحة تدفع الاستعمار ولعلّ توظيف مهنة الفحّام مع سلوك السكر دمجهما مع بعض كان مناسبا جدا للتعبير عن وضع المجتمع الجزائري اجتماعيا ، نفسيا ، ثقافيا ، فزيولوجيا و ماديا في تلك الفترة و ما يقدمه "**بن نبي**" فيما بعد في شكل أحداث متسلسلة طرأت على الشخصية البطلة ، وغيّر حالها من حال إلى حال هو أنّ "**إبراهيم**" قد تحول من :

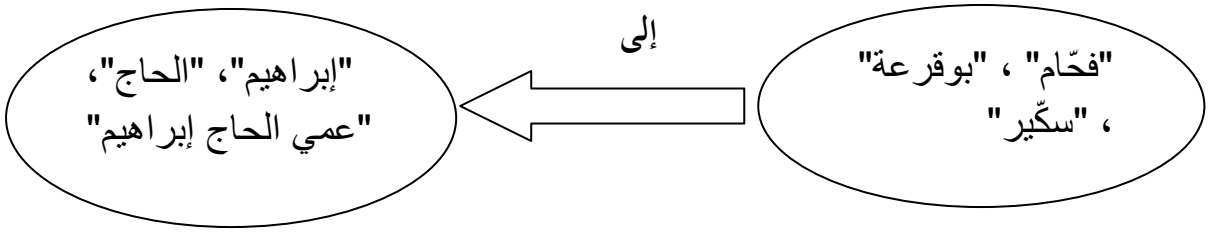

نعم تغيّر وضع **إبراهيم** من سيء إلى جيد وذلك من خلال تغييره لأفكاره ونفسيته ووضعيته الاجتماعية ، ولعلّ أهم ما يشير إليه هذا التحول ، هو أنّ الطبقة الشبابية في الجزائر غير راضية عن وضعها التي عليه رغم استسلامها له إلاّ أنّها نفسيا رافضة لذلك الوضع الانهزامي الذي تسببت فيه ثقافة المستعمر وكرسته بطرق شتّى ، بل بالعكس تماما هي طبقة تأمل بالتغيير وتريد أن تكون صالحة تخدم مجتمعها ودينها بكل الطرق " **كان لدى إبراهيم هذا الإحساس بالخزي الذي ينزل بالشريحة المشبوهة من الناس الذين طبعتهم الحياة التي أخذت منعطفا عصريا والذين هم متشردون دون مأوى ولا عائلة على هامش مجتمعين : مجتمع مسلم وآخر أوروبي ، كان لديه إحساس بأنّ**

ينتمي إلى الشريحة الثانية "[21] ، ليس **"إبراهيم"** سوى أنموذج لهذه الفئة التي تريد لمجتمعها التحرر من ثقافة الآخر ، وذلك من خلال الرجوع إلى دينها وترك كل ما هو دخيل عليها كما فعل إبراهيم الفحام السكّير عندما تحول من السّكر إلى الحج : " **لن أعود إلى ما كنت عليه يا عمي محمد** " [22] ، ومن هذا نرى أنّ الكاتب كانت له نزعة تفاؤلية و رؤية استشرافية للمستقبل الجزائر بأنّها ستتغلب على الاستعمار ماديا وثقافيا وفعلا فعلت ذلك فيما بعد واستقلت .

ب)– شخصية "الطفل هادي" :

اختار **"بن نبي"** الفئة الشبابية و اختار فئة الأطفال كذلك ، فمزج بذلك في اختياره للشخصيات البطلة بين مختلف الفئات العمرية التي تكوّن المجتمع الجزائري لغرض معين ، هو أنّ المجتمع يرتكز على هاتين الفئتين شباب (**جيل اليوم**) ، أطفال (**جيل الغد**) فهو يشير إلى الحاضر والمستقبل ، ومثّل الطفل **هادي** أطفال الجزائر في تلك الفترة الاستعمارية وأعطاها مواصفات وأبعادا فزيولوجية ونفسية واجتماعية أما :

1–البعد الفزيولوجي :

طفل صغير العمر " **شعره أشعث ورجلاه حافيتان يرتدي سروالا كثرت ثقوبه كغالبية أطفال بونة** "[23] نفهم من هذا المظهر الفزيولوجي للطفل أنه ينتمي لطبقة اجتماعية كادحة ، أنّه يعاني من فقر شديد ظهر على شكله الخارجي وجعل كلّ من يراه يشعر بالشفقة عليه ، فهو طفل صغير حافي الرجلين لا يمتلك حتى حذاء بمعنى انّه محروم من كامل حقوقه كطفل ، حق اللعب وحق اللباس وحق التعلم بل حتى أبسط الحقوق كالأكل مثلا . وفعلا عبّر هذا الحال عن أطفال الجزائر في فترة الاستعمار ، إذ كانوا كلهم مثل الطفل **"هادي"** فقراء وأميين يعملون في سن مبكر

[21] مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، ص45.
[22] المصدر نفسه ، ص57.
[23]المصدرنفسه ، ص76.

كان المفروض أنهم يلعبون ويمارسون حقهم التعليمي فيه ، إلاّ أنّ الاستعمار حال دون ذلك بنشر آفات اجتماعية خطيرة بغية إبقاء المجتمع متخلفا حتى يمكن التحكم فيه والسيطرة عليه .

2-البعد النفسي والاجتماعي:

رغم كل الصعوبات التي يواجهها الطفل "**هادي**" إلاّ انّه طفل مشاكس و ذو شخصية مرحة ويتمتع بالذكاء والفطنة كما أن ذكاءه وإصراره على تحقيق أهدافه واضحان وهو ما جعل وضعه الاجتماعي يتغير من حال إلى حال من :

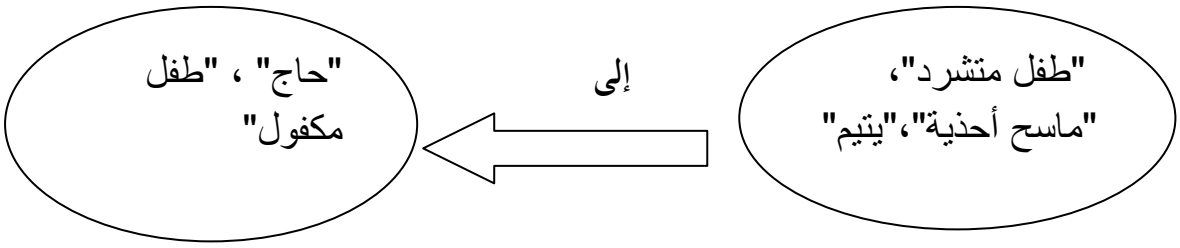

فقد كان الطفل " **هادي** " طفلا فقيرا " **كان والده يذهب كلّ صباح إلى المدينة ، أو إلى مزارع الكروم المجاورة للعمل ..أمّا والدته فقد كانت معه ترعاه وتحرس الثلاث أو الأربع دجاجات اللاتي كان بيضهنّ بعضا من المال لشراء الملابس للعائلة الفقيرة** "[24] ، ولكن ذلك الجو العائلي رغم فقره لم يبق فقد أصبح "**هادي** " يتيم " **أمي ماتت وباع أبي الدجاجات لأنّ بيضها كان يسرق من الزريبة ..ثم قص عليهم لحاق أبيه بأمّه بعد وقت قصير** "[25]، قام الطفل "**هادي**" بالسفر مع الحجاج والحج معهم دون أوراق أو حتى أن يدفع تكلفة السفر ، وهذا يدلّ على أنّه شخصية طموحة الأمر الذي يرمز إلى أنّ أطفال الجزائر كافة في فترة الاستعمار رغم الصعوبات التي تواجههم إلا أنّهم أطفال أقوياء طموحون لا تغلبهم الظروف أبدا ، فيما بعد كفل **إبراهيم** الطفل **هادي** " **طفل**

[24] مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، ص128.
[25] المصدر نفسه ،ص128.

صغير من بونة كان قد ركب المركب خفية وقد قبل أن يصبح بمنزلة ابني" [26] ، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على الروح الاجتماعية التي يتمتع بها المجتمع الجزائري من تكافل اجتماعي وإخاء و أنفة مجسدين قيم الإسلام في هذه المبادىء فالسكير أصبح حاجا وتكفل بيتيم واليتيم المتشرد أصبح حاجا ومكفولا ، ما تشترك فيه هاتان الشخصيتان الرئيسيتان هو اكتشافهما لأغوار شخصيتهما الحقيقية ؛ فقد قاما برحلة حج صحيح ولكن أكبر رحلة كانت رحلتهما في التعرف على شخصيتهما الحقيقية **فإبراهيم** تعرّف على **إبراهيم الحقيقي** و**هادي** تعرّف على **هادي الحقيقي** .

2)على مستوى الشخصيات الثانوية :

تعد الشخصيات الثانوية أو الفرعية ذات أهمية كبرى في تفعيل المحتوى السردي وذلك من خلال العلاقات التي تربطها مع الشخصيات البطلة فهي بمثابة القوة المؤثرة عليها ، ولا تقل أهمية عن طرح إيديولوجيات الكاتب ورؤاه النقدية ،وتعمل على تتمة العمل الروائي لتكتمل الرؤية ويكتمل الفهم لدى القارىء ، وتكثر العوامل المتداخلة في دراسة الشخصية " **سواء كانت عوامل شخصية أم اجتماعية مما يؤدي إلى صعوبة تحليل الشخصية"** [27] وعليه فقد كانت الشخصيات الثانوية في رواية " **لبيّك حج الفقراء**" ذات الدور الكبير في فهم ما يريد الوصول إليه **بن نبي** وفي التجسيد الثقافي فكانت على شكل أنساق ثقافية تحمل دلالة كثيرة .

أ)–شخصية العمّ "محمد" :

لم يغفل "**بن نبيّ**" فئة الشيوخ والتي تعتبر الأنموذج الذي تقتدي به الأجيال القادمة ، لذلك اختار شخصية العم " **محمد**" ليعبّر بها عن دلالات معينة من خلال وصفها هي الأخرى بأبعاد شكّلت شخصيتها :

[26] مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، ص156.
[27] كامل محمد محمد عويضة ، علم النفس بيالشخصية والفكر ، دار المتب العلمية ، بيروت ط1، 1996، ص37.

1-البعد الفزيولوجي :

العم " **محمد**" شيخ كبير " **له لحية بيضاء وحول عنقه سبحة مثل هؤلاء الذين نجدهم على درج مدخل جامع الباي ينتظرون نداء المؤذّن وهم يحدّقون بمتعة في الغادي والرائح في الساحة** "[28] ، ربما يدلّ شكل العم بنسبة ما على جوانب من شخصيته ، فلحيته البيضاء تدلّ على كبره ووقاره وسبحته التي حول عنقه تدل على تمسكه بالدين وهو حال شيوخ الجزائر المتمسكين بهويتهم وثقافتهم رغم وجود المستعمر في بلادهم .

2- البعد النفسي والاجتماعي :

العم " **محمد**" صاحب شخصية صبورة جدا ، تحترم الآخر وتستر عيوبه فمثلا عندما يرى **إبراهيم** في حالة سكر يذهب إليه ويدخله للدكان من أجل ستره واحتواء عيوبه " **ليحفظك الله ، ادخل ، ادخل مخاطبا السكّير وهو يمد يده إليه لكي يساعده على تجاوز العتبة** "[29] إذا هي شخصية مساعدة تحب الخير للغير وتحاول بجميع الوسائل أن تتعاون مع من هم ضيّاع أمثال "**إبراهيم السكّير**" ، أما اجتماعيا فسلوك هذه الشخصية من مساعدة للغير واحترام له أعطاها هيبة اجتماعية فكانت تمثل القدوة والأنموذج الأمثل كما تمثل الأصالة الجزائرية المتمسكة بقيمه النبيلة ونخوتها ، وربّما دلّت هذه الشخصية على الضمير الاجتماعي ، الذي يمثل نوعا من المقاومة الثقافية يريد أن يحتفظ بالجزائر جزائرية لا الجزائر فرنسية أو أوروبية ، "**دخل الشيخ معه إلى الداخل ، و كأنّه يعرف تفاصيل المكان ، كان يتحسس في الظلام بيديه ، تناول الكبريت وبزند عود منه أشعل شمعة** "[30] ربّما أراد الكاتب هنا

[28] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص33.
[29] المصدر نفسه ، ص34.
[30] المصدر نفسه ، ص34.

بهذا الوصف إيصال فكرة هي أنّ هذه الشخصية التي تمثل أصالة الجزائر ترغب بالنهضة والنور لمستقبل شباب الجزائر والجزائر كافة.

ب)–شخصية العمّة "فاطمة":

العمّة " **فاطمة** " هي زوجة العم "**محمد**" وقد كانت بمثابة أم **لإبراهيم** مثلما كان العم "**محمد**" بمثابة الأب له فعندما أراد **إبراهيم** الحج قامت بإعداد المؤونة له " **كانت زوجة الشيخ في انتظارهما وقد عبّقت الغرفة التي خصصت لاستضافة الحاج بالبخور ،كانت تكنّ له مشاعر أمومة لأنّها رأته وهو يكبر وكذلك بسبب أهله الطيبين الذين رافقتهم حتى آخر لحظة في حياتهم** " [31]وهذا يدلّ على نفسيتها و سلوكاتها القيّمة التي تحب الخير للآخر وتحترمه رغم مكانته الاجتماعية أما اجتماعيا فالعمة "فاطمة" كانت تمثل هي الأخرى الأصالة الجزائرية . فدلالة شخصيتها لا تبتعد كثيرا عن دلالة شخصية "**العم محمد**" .

ج)–شخصية الصديق:

" في واحد من هذه الأزقّة تراءى طيف شخصين مترنّحين توقفا أمام باب الدكّان ، وتأهب أحدهما لفتح الباب في حين تمايل الآخر لحظة ثم استلقى أرضا على امتداد حائط المتجر مخاطبا صاحبه بصوت مخمور : دبّر أمرك ، أنا سأنام هنا .."[32] لقد كانت شخصية **الصديق** لا تفرق عن شخصية **إبراهيم** السكّير ، فقد كان هو الآخر ثملا لا يهتم لا بنفسه ولا بسلوكاته ولا أخلاقه ، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على أنّ الشبيبة الجزائرية المسلمة كانت في خطر أخلاقي كبير ، هذا الصديق الذي مثّل الصداقة بأبشع صورها مثّل الصداقة بأجمل صورها عندما تحول "**إبراهيم**" من سكّير إلى حاج وذلك عندما أراد هو أيضا أن يصبح مثل صديقه "**إبراهيم**" حاجا وليس سكّير ، ولكنها كانت رغبة مكتومة وقد أظهر ذلك عندما أراد إبراهيم أن يوفرّ المال ويتبعه "**أريده أن يوفّر**

[31] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص68.
[32] المصدر نفسه ، ص32.

بعض المال ويتبعني "[33] ، وكانت ردة فعله الابتسام يعني أنّ هناك رغبة في الرجوع للأصل والرجوع للدين والتمسك بمبادئه "**شجعّت كلمات إبراهيم صديقه فقال متمتما : إن شاء الله"** [34].

د)–شخصية الزوجة "زهرة " :

{يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتّقوا الله الذي تسّاءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا}"النساء الآية 1"[35] ، تعدّ منظومة الزواج إحدى المؤسسات الاجتماعية التي يتأسس عليها المجتمع ، خاصة أنّها تمثل الأسرة وإذا صلح الزواج صلحت الأسرة وتمت خدمة المجتمع وإذا لم يصلح كانت هناك كوارث عظمى ، وقد حفظت الديانات السماوية هذه العلاقة القدسية التي تسمى بالزواج وخاصة الدين الإسلامي فقد " **أراد سبحانه وتعالى للعلاقة بين الرجل والمرأة أن تكون علاقة المودّة والرحمة على النحو الذي تبلغ فيه المودة والرحمة إلى حيث تصبح الأنثى السكن الذي يسكن إليه الرجل "**[36] وقد مثّلت **زهرة** زوجة **إبراهيم** هذه العلاقة السامية وحفظتها بامتياز ولم تكن هذه الشخصية ومبادؤها تعبّر عن شخص **زهرة** فحسب بل كانت تمثل المرأة الجزائرية عامة ، فهي امرأة تصون بيتها وزوجها. وللأسرة قيمة كبيرة لديها تحاول دائما المحافظة عليها بكل الطرق حتى على حساب صحتها النفسية والعقلية وربّما حتى الجسدية ، فزهرة كانت تصبر مع زوجها وتعامله معاملة حسنة رغم سوء تصرفاته معها " **هذه الزوجة المخلصة التي اختارها له والداه والتي قاست معه "**[37] ، وربّما تذهب دلالة **زهرة** إلى أبعد من ذلك فقد تدلّ على الوطن على الجزائر في حدّ ذاتها ، وبما أنّ إبراهيم السكير يمثل الشبيبة الجزائرية الذائبة ثقافيا في ثقافة المستعمر فقد كانت **زهرة** صبورة مثلما كانت الجزائر صامدة أمام ضياع شبابها وأمام العدو الفرنسي حتى أنّها لم تتزوج بعد **إبراهيم " مع**

[33] مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، ص72.
[34] المصدر نفسه ، ص 72.
[35] القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية 10.
[36] محمد عمارة ، تحير المرأة بين الغرب والإسلام مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 2009 ، ص17.
[37] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص 71.

أنّها كانت مطلّقة فقد رفضت أن تتزوج مرة أخرى إكراما لذكرى حمويها "[38] ، وهذا يدل على أنّ الجزائر تبقى وفية لأبنائها وتنتظر أبناءها حتى يجاهدوا من أجلها ويعرفوا قيمتها ، كذلك كانت شخصية **زهرة** بالضبط .

هـ)–الجيران:

عندما نقول الجيران يعني نقول المجتمع وقد كان جيران **إبراهيم** يتعاملون معه بحسب مراحله الحياتية ،فتعاملهم معه وهو سكّير يختلف تماما عن تعاملهم معهم وهو حاج ، أمّا عندما يكون سكّيرا فإن تعاملهم معه فيه نوع من الحذر والمحافظة على أنفسهم من أذاه وتمثّل هذا المبدأ في مشهد فتاة الجيران البيت ،كانت تقوم بطقوس في فناء الدار ليلا و أتى **إبراهيم** وهو سكران كالعادة يريد أن يدخل إلى غرفته فصارت الفتاة تصرخ ظنته شبحا ولكنّ الجيران رفضوا بعد رؤيتهم المشهد أن يبقى **إبراهيم** في نفس المنزل الذي يعيشون فيه " **تمتم معتذرا لكن الجيران قد أصدروا حكمهم و رأوا انّه قد تمادى كثيرا ، وحددوا أجلا للعم محمد لرحيل إبراهيم الذي امتثل للحكم وغادر البيت** "[39]والسكّر بالنسبة لهم هو ثقافة دخيلة وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على تشبثهم بمبادئهم وأصالتهم التي ترفض أي مبدأ ينتمي إلى ثقافة الغير فهم يمثلون النسق الثقافي للمجتمع بمعنى يمثّلون عقلية المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمه ، أمّا عندما صار إبراهيم حاجا فقد تكافلوا معه وأبدوا له احتراما شديدا " **لقد أصرّ الجيران على أن يهدوا لك هذه القفة** "[40] وهذا يدلّ على أخلاقهم وطيبتهم .

و)– الأطفال :

من عادة الأطفال أن يحترموا من هم أكبر منهم سنا ، ويسمعوا كلامهم فالكبار بطبيعة الحال يتمتعون بالهيبة والوقار ، ولكن عندما تغيب الهيبة فإنّ الأطفال هم أول من يحكم على مكانتك في المجتمع ، " **عندما يحكم**

[38] مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، ص71.
[39] المصدر نفسه ، ص 79.
[40] المصدر نفسه ، ص70.

الوسط الاجتماعي على شخص ما ، فالأطفال هم الذين يصدرون الحكم بشراسة فينعتون المجنون بالمجنون والسكّير بالسكّير " [41] ،يعني أن الأطفال بطبيعتهم يتميزون بالبراءة ومن المستحيل أن يشوهوا صورة أحد ما في المجتمع ، فهم يحكمون على ما يرون أمامهم من حقائق بكل صدق ، ولم يختلف دورهم عن دور الجيران ،فهم أيضا يشكّلون جزءا من المجتمع لذلك نبذوا كل ماهو دخيل عن تربيتهم وعن أصولهم وعاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها عن أجدادهم ، فذمّوا السكر باعتباره ثقافة تابعة لثقافة المستعمر، فهم جزائريون والجزائري دينه الإسلام والذي يفرض عليه نبذ السكر ، لذا نبذوا إبراهيم وصاروا يستهزؤون به وينعتونه باسم بوقرعة " **فوضعه لديه مرفوض " هذا الوضع المخزي الذي يعيّره به الصبيان في أزقة بونة بلقب بوقرعة (صاحب قارورة النبيذ) "**[42] ، وقد تم رفض وضعه من قبل الأطفال هذا لأنّه يمس بالسلطة الأبوية ويمس بصورة الكبار ، لذلك اعتبره الأطفال شاذا عن الكبار الذين هم في نظرهم القدوة والأسوة الحسنة ، ولكن بعد أن تغيّر "**إبراهيم**" من الحاج إلى السكّير تغيرّ حكم الأطفال عليه وتعاملهم معه فأصبحوا يحترمونه جدا .

ز)– الحجاج :

لقد كانّ للحج مكانة كبيرة في هذه الرواية ، فالعنوان جاء على شكل تلبية و الرواية أصلا عبارة عن رحلات حج روحانية قام بها البطلان كلاهما **إبراهيم** والطفل **هادي** ، ولعلّ مكانة الحج الكبيرة في الجزائر آنذاك راجعة لكون الدين يعتبر سلطة قوية تتحكم في المجتمع ، لذلك نجد هنا تقديرا عظيما من قبل سكان الجزائر لهذا الركن الإسلامي **"كثير من العائلات تستضيفهم عائلات المدينة ..، فالحاج ليس ضيفا عاديا لذا يجب أن تحفظ أصول الضيافة معه ، فحتى العجائز يخصصن الضيف باستقبال حار مفعم بأجواء عائلية ، وكلّهنّ حزن شديد لأنهنّ لم يفزن بسعادة (غسل عظامهنّ) بماء زمزم "** [43] ، فلقب "**الحاج**" لقب عنده وزن في الأوساط الجزائرية ، وليس

[41] مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، ص50.
[42] المصدر نفسه ، ص49.
[43] المصدر نفسه ، ص29.

في الجزائر فقط يعتبر الحج ذا وزن كبير وقيمة بل في كافة الشعوب الإفريقية المسلمة ، رغم أنّها عانت من الاستعمار إلاّ أنّها بقيت محافظة ومتمسكة بدينها الذي يشكّل هويتها ، ولعلّ هذا المشهد يشرح أكثر ما نعنيه :"**كان الرجل يصرخ ويتخبّط ليتخلّص من قبضة الرقباء عند رؤية العبّارة التي سحبت والمركب الذي يبتعد عن المرسى ..كان يجري خلف المركب الذي كان يبتعد وهو يحاول أن يمسك بأي شيء عالق بجوانبه ..توجه نحو المركب مادّا يديه كمن خطف منه شيء وهو يصرخ : أرأيت يا رسول الله لقد تركت خيمتي و أولادي كي آتي إليك لقد قطعت 700كلم مشيا على الأقدام ولكنّي لا أستطيع أن أذهب أبعد من هذا يا رسول الله**"[44] ، هذا الرجل لم يكن جزائري بل كان تونسيا ، إذا **من إبراهيم** السكّير إلى الطفل **هادي** المشرد إلى الرجل التونسي كانت لديهم اللهفة نفسها في الحج في الرجوع إلى الله.

لقد اختلف الحجاج الذين هم على العبّارة من ناحية الثقافات والأجناس ، فكان هناك شعوب كثيرة عليها "**كان إبراهيم على عجلة من أمره ليختلط مع باقي الحجاج الآتين من أمصار أخرى ، لقد سمع منذ زمن ليس ببعيد عن أهل (جاوة) الصالحين ، عن (الهنود المترفين) ، عن (الصنيين الغامضين**) .."[45] ، وهذا يدل على أنّ الحجّ عبارة عن رحلة للتبادل الثقافي وللتأمل في خلق الله المتنوع ، وليس فقط رحلة روحية بل رحلة ثقافية يتعرّف المسلمون عن بعضهم البعض وعن مدى اختلافهم العرقي والجنسي والثقافي ، وهو عبارة عن رحلة اجتماعية تتضمن معاني الإخاء والتعاون والتعامل الحسن ، فقد تعرّف "**إبراهيم**" في العبّارة على مرافق جديد الذي أدى له خدمة وهي دعوته للصلاة معهم وكانت أول مرة يصلي فيها إبراهيم بعد حالة السكّر التي كان عليها ، " **إن لم تفعل بعد فاذهب إلى المطبخ فإنّ به عمالا في خدمة الحجّاج سيعطونك الماء ، اتجه إبراهيم إلى المكان المشار إليه مستعجلا لكيلا يضيع فرصة قيامه بأول صلاة مع مرافقيه الجدد**"[46].

[44] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص89.
[45] المصدر نفسه ، ص91.
[46] المصدر نفسه ، ص84.

ب)–التمثلات الثقافية على مستوى المكان :

يعدّ المكان من دعائم البناء النصي الروائي ، فهو يتحد مع الشخصية أحيانا وقد يتنافر معها ، ولكن في الأخير يعبّر عن إيديولوجيا الكاتب في المتن الروائي و" **المكان هو القاعدة المادية الأولى ، التي ينهض عليها السرد وعلاماته اللغوية المنوطة بخلق بناء فضائي خيالي حميمي له مقوماته الخاصة ، وأبعاده المميزة التي تعبّر عن الهوية والكينونة والوجود** " [47] لذلك يوظفه الكاتب للتعبير عن واقع ما أو فكرة ما يعبّر عليها بالمكان كعنصر مهم من عناصر السرد وكنسق ثقافي يحمل ثقافة فئة معينّة من الناس استقصدها الكاتب ليعبّر عنها ، فالمكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون تابعا أو سلبيا ، بل إنّه أحيانا يمكن للروائي أن" **يحوّل عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال** " [48] وقد كان للمكان الأهمية الكبيرة في رواية " **لبيّك حجّ الفقراء**" فقد كان المكان يحمل أيديولوجية المجتمعات والشخصيات ، وقد كان توظيف الأمكنة في هذه الرواية يحمل دلالات عديدة هي عبارة عن أنساق ثقافية يمكن عرضها على النحو التالي :

1–مدينة عنابة:

تنطلق منها أحداث الرواية لتمثّل ثقافة المجتمع الجزائري الذي يبدو أنّه متمسّك بشدة بدينه الإسلامي ويظهر ذلك في أنّ " **عنابة كانت تعيش في عرس وكانت تستقبل الحجيج الوافدين بالقطارات والذين كانت بواخرهم قد أرست فينتشرون في المدينة للتزود بالزاد الذي يكفيهم للرحلة أو للصلاة في المسجد** "[49] . فدلّت بذلك كمكان على جود وكرم أهله ، وعليه فقد حدّد المكان هنا معالم الهوية الاجتماعية والثقافية للجماعة التي تتميّز بالقيم والمبادىء الإنسانية التي كانت تحافظ عليها رغم وجود المستعمر الذي يشكّل بالنسبة **لعنابة**

[47] طالب أحمد ، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، 2005، ص05.
[48] لحميداني حميد ، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط3، 2003، ص70.
[49] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء، ص29.

كمكان صراعا بين الأنا والآخر ، ولكن عنابّة أثبتت أن الأنا الجزائرية متمسكة بهويتها أيما تمسك والدليل على ذلك الجو الذي ميّزها حين استقبالها للحجيج القادمين من مختلف ولايات الوطن وهو ما نلاحظ فيه نوعا من التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع الجزائري في تلك الفترة الاستعمارية التي عرفت بسياسة فرّق تسد ، إلاّ أنّ الجزائر من خلال صورة عنابة أعطت للعالم معاني عدّة من بينها معاني المقاومة الثقافية كمظهر يعكس صورة الوطن الجزائري .

2-دكّان الفحم :

ارتبط دكّان الفحم بشخصية معينة وهذه الشخصية بحدّ ذاتها ارتبطت بالمجتمع ككل إنّها شخصية **إبراهيم** فدكان الفحم كمكان عبّر عن فئة من المجتمع الجزائري وليس عن **إبراهيم** فقط ولعلّ وصف **بن نبي** له بأدقّ التفاصيل كاف ليعطي للقارىء لمحة عامة عمّا يجري في الجزائر باعتبار المكان يعبّر عن جزء من المجتمع الجزائري في تلك الآونة، " **كانت تتدلى خيوط العنكبوت من خشب السقف الذي لا يمكن التعرّف من خلاله على طبقة كلس الجير الممسوحة لكثرة تراكم غبار الفحم الذي صبغ المكان ، هناك في الداخل وفي ركن منه توجد كومة من الفحم بجانبها أكياس مملوءة لم تفتح بعد أما الغربال وميزان الفحم فقد أكملا تأثيث هذا الجانب من المحل وفي الجانب الآخر وضع صندوق فوقه الشمعة التي لا تكاد تضيء سريرا حقيرا وهو المتاع الشخصي الوحيد في هذا المتجر والذي يمثّل حجرة نومه أيضا** "[50] إذا الدكان عبارة عن مكان للعمل هذا المكان مليء بالغبار والسواد ، وحتى هناك أكياس فحمية مغلقة لم تفتح بعد ولعلّ هذا يشير بطريقة ما إلى البطالة التي انتشرت في المجتمع الجزائري ، والتي عانى منها شباب الوطن بسبب الاستعمار الفرنسي تميّز المكان بنوع من الركود والتعطل عن الحياة ، نفس الأمر التي عانت منه شبيبة المجتمع أيام المستعمر ، هذا ولعلّ هذه الشبيبة لا تعاني من مشكل البطالة فحسب ، إنّما تعاني من مشكل السكن كذلك ، بما أنّ الكاتب ذكر أن الدكان كان عبارة عن غرفة نوم تحتوي على سرير نوم هذا من ناحية ارتباطه بالجماعة ، أمّا من ناحية ارتباطه بالفرد فقد عبّر هذا المكان عن

[50] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص35.

الشخصية التي لا تمتلك هدفا في حياتها الضائعة والتي لا يهمها لا ماضيها ولا حاضرها ولا مستقبلها ، إنّها نموذج سلبي لم يكن يتناسب مع تلك الفترة الاستعمارية فمن المفروض يجب أن تكون شخصية مكافحة تبحث عن استقلاليتها واستقلالية بلدها ، ولكن للأسف الدكان باعتباره صورة مصغّرة لثقافة وإيديولوجية الفرد والمجتمع لم يكن يحمل المعاني الحميدة .

3–المسجد:

مثلّ المسجد مرحلة التأمل وإرهاص التغير لدى **إبراهيم** ، فعندما ذهب للمسجد رآهم يصلون ثم **"تتبع إبراهيم مشهد صلاة الجماعة الذي كان مألوفا لديه ..رفع إبراهيم يديه متضرعا وقد فاضت عيناه بالدموع التي انهمرت على خديه ، ثم رفع بصره للسماء متمتما : يارب اشفني من شروري فأنا مريض ،اهديني سواء سبيلك فإنّي ضال"** [51] إذا كان المسجد مكانا نظّف فيه **إبراهيم** روحه واكتشف فيه ذاته وعاد به إلى أصله .

4–الحمام الشعبي :

مكان نظف فيه "**إبراهيم**" جسده ليتناسب مع روحه الجديدة النظيفة التي ابتعدت عن الماضي وعن السكر لتفتح صفحة جديدة ليصبح بعد الاستحمام كما وصفه **بن نبي** كأحد الأشراف **"اتجه إلى حمام شعبي وبسرعة اغتسل ونظّف كامل بدنه ..وعندما خرج كان يبدو كأحد الأشراف "** [52]، وتتميّز الحمامات في البلدان العربية وفي لمغرب العربي تحديدا بطابعها الخاص ، فهي تمثّل إرثا حضاريا ، يعبّر عن الهوية الجزائرية .

5–العبّارة :

[51] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص54.
[52] المصدر نفسه ، ص56.

شكّلت العبّارة الانتقال من مرحلة إلى مرحلة من مرحلة المجون والركود والاستهتار بالأنا والآخر ، إلى مرحلة الحياة بأتمّ معنى الكلمة "**عندما وضع رجليه على المركب شعر كأنّه تخطى عتبة عالم أطلق زفرة كلّها رضا الحمد لله**" [53] ، كان المركب بالنسبة له عالما جديدا خاليا من عربدات الماضي ، من **إبراهيم "بوقرعة"** ومن الفراغ الروحي الذي عاشه لمدة ثلاثين سنة ، " **ملكته سعادة لأنه لم يعد يشعر بالألم عند تذكّره لماضيه ، الذي مكّنه ابتعاد المركب من رؤية تفاصيله على الميناء** "[54] ، إذا شكلّت العبّارة خلاصه من ماضيه السيئ ، وعليه فقد تتميّز المكان بالتنوع وناسب مراحل الشخصية من حيث التغيّر ، وارتبط ارتباطا كبيرا بثقافة وإيديولوجية الشخصية ومجتمعها ، حيث كان يحمل الجانب السلبي والجانب الإيجابي وعبّر كثيرا عن أفكار أراد الكاتب إيصالها من بينها: وجوب الثورة الثقافية ، أما من الناحية السردية فقد تميّز المكان بالخطية السردية وبالترتيب المكاني ، من "**عنابة**" إلى "**الدكان**" إلى "**المسجد**" "**فالعبّارة**" "**فالبقاع المقدسة**" ، كلّها عبّرت عن المراحل السيكولوجية والإيديولوجية والثقافية التي مرّت بها شخصية "**إبراهيم** ".

ج)–التمثلات الثقافية على مستوى الزمان :

لا تختلف أهمية الزمان عن أهمية المكان من ناحية الوظيفة السردية والثقافية ، حيث " **يشكّل إطار كل حياة وحيّز كل فعل ، وكل حركة بل يعتبر إطار الموجودات وحركتها فمظاهره واضحة جلية في كل مناحي الحياة وقطاعاتها** " [55] ، فلا وجود لمكان دون زمان ولا لزمان دون مكان ، ولعلّ أهمية ذلك تكمن في أنّ المكان يتأثر كثيرا بالزمان فمثلا في رواية" **لبيّك حجّ الفقراء**" ، ارتبط الزمان بعدة أنساق ثقافية من بينها الدين ، وذلك أنّ الرواية ككل تتحدث عن رحلة حجّ يعنى موسم الحج الذي اختار له فصل الربيع في روايته " **في هذا العام وافق موسم الحجّ شهر أبريل شهر البساتين والنسيم العليل ، الذي ينثر على الأرض نوريات الورود وزهور شجرة**

[53] مالك بن نبي ، لبيك حج الفقراء ، ص75.
[54] المصدر نفسه ، ص 75.
[55] زايد عبد الصمد ، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1988، ص146.

البرتقال فيغمر السهل العنّابي بعقبات بلسمية " [56] ، ولعلّ اختياره لهذا الفصل يحمل دلالة معينة وهي أنّ الربيع فصل يحمل الخيرات والتفتح والتغير بعد السبات الذي يحصل في الشتاء ،فهو فصل الألوان وربّما هنا أسقط الكاتب الفصل على الشخصيات البطلة ، على كل من **إبراهيم والطفل هادي** اللذان ذهبا للحج فقبل الحج كانت شخصيتهما تعاني من السبات الظلام الركود الضياع مثلها مثل فصل الشتاء تتميّز بالاضطراب وعدم الاستقرار أو الهدوء لكن بعد الحجّ تغيرت شخصيتهما وأصبحت شخصية مستقرة تتمتع بالهدوء ، شخصية محبّة للحياة وتحب فعل الخير .. وهي صفات كلّها مناسبة لميزات فصل الربيع .

كذلك نجد الزمن قد عبّر عن الجانب الاجتماعي وذلك من خلال **عنابة** التي لم تعد **عنابة** الماضي فقد تغيرت بفعل الاستعمار وثقافته التي لا تمت بأي صلة لثقافة **عنابة** الجزائرية المسلمة ، **فعنابة** تغيرت بفعل الزمن وأصبحت مظاهر التفرنس فيها تنتشر بنسبة كبيرة لذلك وشخصية إبراهيم ودكانه الفحمي خير دليل على ذلك ، لذلك عبّر الزمن عن التغير الإيديولوجي والثقافي التي تمّر به الشعوب من فترة إلى فترة أخرى ، وأما من الناحية السردية فقد تميّز الزمن في الرواية غالبا بالخطية الزمنية ، فكان الزمن السردي عبارة عن زمن كرولونوجي بامتياز تقريبا لا توجد هناك فوضى في الزمن و تكاد الرواية تخلو من فكرة الاستباق والاسترجاع ولا نجدها إلاّ قليلا جدا ، و هذا لأنّ الكاتب في بداياته الكتابية الأولى وأنّ الرواية في حدّ ذاتها جاءت رواية مبّكرة عن فكرة التجريب السردي الذي نلاحظه بشدة في الرواية المعاصرة .

ومما سبق نجد أنّ العناصر السردية كانت ذات فاعلية كبيرة في التعبير عن بعض الأنساق الثقافية من بينها الدين ، الإديولوجيات الاجتماعية والثقافية ،كما عبرّت كثيرا عن سيكولوجية النفس .

3– قدسية الحلم :

[56] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص28.

الحلم أو الرؤيا وهو علم من العلوم التي لها تاريخها والتي اكتسبت منذ القديم إلى يومنا هذا شعبية كبيرة " **وهو علم رفيع القدر ، وعلم نفيس ، بل هو أدقّ و أصعب من العلوم الأخرى ، مبناه على حسن ألفه ، والعبور من الألفاظ المحسوسة والمعنويات أو ما يناسبها بحسب حال الرّائي وبحسب الوقت والزمان والمكان والحال المتعلقة بالرؤيا** "[57] ، إذا للرؤيا المكانة الهامة في العلوم وقد كانت سببا رئيسيا في تغير حال "**إبراهيم**" ، وذلك حينما كان في حالة السكر مستلقيا على سريره نائما وإذا به يرى "**نفسه في لباس الإحرام اللباس الذي يرتديه الحاج خلال أدائه لتلك المناسك**" [58] ولأنّ الحلم أو الرؤيا له قدسيته في العقلية الجزائرية فقد كان إبراهيم دائم التفكير في هذا الحلم الغريب " **لقد كان مغزى حلمه يشغله : ترى ماذا يعني أن أرى نفسي في لباس الإحرام ؟**" [59] لم يكتف **إبراهيم** بهذا الحلم كحلم عادي بل أصبح حلم يقظة بمعنى أنّه حتى في يقظته ظل يحلم بالحجّ " **ظلّ فكره يطارد بلذّة ذلك الحلم الذي يعتقد أنّه رآه وبعينين نصف مغمضتين كان إبراهيم يرى نفسه برفقة الحجيج الذين سيبحر مركبهم صباح هذا اليوم قبل منتصف النهار كما سمع ذلك من خلال جولته البارحة عندما كان برفقة جماعته** " [60] لم يبق الحلم محصورا في عالم الآلام بل أصبح واقعا وذلك عندما قرّر إبراهيم تحقيقه ، وهذا يشير إلى أنّ الأحلام لا تصبح خيالية إذا أردنا نحن تحقيقها فكل ما كان حلما يصبح واقعا بفعل الرغبة القوية في تحقيقه والقيام بفعل التحقيق لا الاكتفاء بالرغبة فقط لذلك كل شخصية حالمة هي شخصية هادفة تهدف لتحقيق عدة أهداف في الحياة مثل شخصية إبراهيم التي حققت حلم " **الحجّ**" وبفعل هذا الحلم تغيرت عدّة أشياء من بينها تغير سلوك الشخصية وكان لهذا الدور الفعّال في تغير سلوك الجماعة وهنا تكمن قدسية الحلم عندما تغيّر سلوك إبراهيم وتأثّر به صديقه السكّير لتغير سلوكه هو الآخر لكن الفرق بينهما أنّ إبراهيم كان يحلم بالحج في الحلم وفي اليقظة أما صديقه فلم تكن له هذه الرغبة و هي ماتسمى بأهمية تقديس الأحلام .

---

[57] محمد بن فهد بن إبراهيم الودعان ، ضوابط الرؤيا ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ط1، 2007، ص05.
[58] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص38.
[59] المصدر نفسه ، ص38.
[60] المصدر نفسه ، ص39.

4- الهوية والتراث كنسق ثقافي :

تعد العلاقة بين التراث والهوية علاقة طردية وكلاهما يمثل الماضي والحاضر والمستقبل " **فليس التراث هو الماضي ..ولكنه الحاضر والمستقبل بكل احتمالاته ، فالتراث يمتدّ في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل فهو جزء منّا ، لا نستطيع الفكاك منه والتراث بذلك سمة أصيلة من سمات الهوية به تكتمل عناصرها وبصبغته تصطبغ** " [61] ، وما يميّز الشعوب عن بعضها البعض هو هويتها وتراثها ، لذلك يشكلان التميز والاختلاف والتنوع العالمي في الثقافات لذلك كانت الهوية والتراث عبارة عن مقاومة ثقافية تدافع بها الشعوب عن كينونتها ويجب "**الاعتزاز بالتراث باعتباره عنوان الهوية ، والمحافظة عليه وتعهده بالعناية والرعاية ، مسؤولية ورسالة وواجب ، فإذا انهدم الماضي وانهار ، فإنّ عودته ضرب من المحال وإنّ من أعظم الجرائم قسوة أن يهدّم الناس ما ورثوه عن أسلافهم من تراث** " [62] ، لذلك كانت الهوية والتراث عبارة عن أنساق ثقافية تعبّر عن مجموعة من الإيديولوجيات قدّمها الكاتب في رواية لبيّك حجّ الفقراء على شكل مظاهر ثقافية من بين هذه المظاهر :

أ)-اللّباس:

يعدّ اللّباس أحد المعايير الثقافية التي تدلّ على هوية وتراث الشعوب وتميّزها عن غيرها من الشعوب الأخرى، فهو عبارة عن نسق ثقافي يعبّر عن ثقافة وإيديولوجية الفرد أو الجماعة " **يمكن أن نقرأ اللّباس الذي يلبسه الناس لا بوصفه قيمة ضرورية وإنّما بوصفه صورة ثقافية لها معانيها ولها دلالتها** "[63] ، لقد كانت الرواية عبارة عن رحلة

[61] عبد العزيز بن عثمان التويجري ، التراث والهوية ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيكو- ، الرباط المملكة المغربية ، ، 2011 ، ص07.
[62] عبد العزيز بن عثمان التويجري ، التراث والهوية ، المرجع السابق ، ص08.
[63] عبد الله الغذامي ، الثقافة التلفزيونية ، سقوط النخبة وبروز الشعبي ، المركز الثقافي العربي المغرب ، ط2، 2005 ، ص98.

حجّ ترجمت رغبة إبراهيم في الرجوع إلى ربّه و إلى الإسلام الذي يشكّل جزءا كبيرا من هويته وقد وقد مثّل اللباس الرغبة والهوية التي يريدها إبراهيم وكان **"لّباس الإحرام"** لهذا اللّباس الإسلامي المرتبط بفريضة الحجّ قد جسّد علامة ثقافة ألا وهي الدين الذي يعدّ إحدى عناصر الهوية الجزائرية " **يجب أن ندخل إلى الحمام لكي نرتدي لّباس الإحرام فنحن داخلون إلى الأراضي** " [64] ، هذا اللّباس الذي يستوجب الطهارة ويرتبط بأمكنة مقدّسة إنّه لا محالة لّباس تراثي يحمل تاريخا ثقافيا فكريا واجتماعيا .

صورة (2) تمثّل: لّباس الإحرام .

ب)–الطعام :

لا يرتبط الطعام بالصحة فقط بل يرتبط بالفكر والهوية وحتى التراث ، فهناك بعض الأطعمة التي تحمل معها ذكريات الماضي وتعبر عن طريقة عيش فئة معينة من الناس في فترة ما وتميزت الجزائر بأكلاتها الثقافية التي ارتبطت بالطبقات الاجتماعية وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على أنّ الطعام عبارة عن معيار ثقافي نستطيع من خلاله الحكم على ثقافات الشعوب ، من حيث النوعية ومن حيث الطبقية وقد انتبه بن نبي لهذه النقطة حيث وصف قفة الحجاج بطريقة تجعلك تفهم جيدا أنّ الطعام ليس مجرد شيء مادي فقط إنّما يحمل عدّة دلالات " **أمّا اليوم فالمؤونة اقتصرت على كعك وحلويات تحملها العائلات لحجاجهم ، من البقلاوة الخاصة بالعائلات الغنية والمقروض**

[64] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص151.

لقاطن المدينة الفقير أما الرفيس للريفي "[65] ، لعلّ أهم الدلالات التي ارتبط بها الطعام هي الجانب المادي للمجتمعات بمعنى أنه يعبّر عن الطبقية في المجتمع وذلك من خلال البقلاوة التي هي أكلة الغني والمقروض والذي هو طعام المدني الفقير و الرفيس والذي هو طعام الريفي ولعلّ كلمتي المدني والريفي تحمل دلالة هي الأخرى ، وذلك أنّ المدني في تطور دائم وتفاعل مع كل ما هو معاصر حتى وإن طرأ على الأطعمة تغير ما ، ولعلّ المقروض يدلّ على التقدّم والتطور باعتباره طعاما مرتبطا بالمدينة أماّ الرفيس فيدلّ على أصالته لأنّه مرتبط بسكاّن الأرياف وتبقى كلها أكلات ثقافية تميزّت بها الجزائر عن غيرها وعبّرت عن هويتها من جانبها المادي والاجتماعي وحتى الثقافي باعتبارها تعبّر عن الفرق بين ما هو مدني وما هو ريفي وبين ما هو مكلف في الثمن وما هو غير مكلف ، كذلك لم يكتف الكاتب في توظيف دلالة الطعام المادية والاجتماعية كذلك وظّفه من ناحية دلالته الدينية وذلك عندما كان الحجاج على العبّارة وتفحصوا الطعام المقدّم إليهم " **أنا متأكد أن اللحم ليس لحم خنزير فقد رأيتهم يذبحون خرافا وفقا للشريعة"** [66] .

ج)– المعتقدات الشعبية :

تقوم الثقافات غالبا على المعتقدات ، فالمعتقد سواء الديني أو الفكري أو الأسطوري أو حتى الخرافي يشكل معالم الهوية ويشكّل التراث من جانبه المعنوي ، ولقد آمنت الشعوب بالكثير من المعتقدات منها ما يتقبله العقل ومنها ما لا يقبله ومنها ما هو مرتبط بالصحة ومنها ما هو خيالي ، لكنّها تبقى في الأخير ثقافات متراكمة تتداولها الأجيال فيما بينها جيلا بعد جيل ، وفي الرواية هناك بعض من المعتقدات الشعبية التي عبّرت عن ثقافة الشعب الجزائري ومن هذه المعتقدات :

[65] المصدر نفسه ، ص102.
[66] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص 102.

1-" القزّانة ":

"القزّانة" هي قارئة الفنجان وهي من المعتقدات الشعبيةالتي لم تعرفها الجزائر فقط ، بل عرفتها بقية الشعوب سواء العربية أو غير العربية ، هذه **"القزّانة"** التي التجأت إليها زهرة عندما ضاقت بها الأمور مع زوجها إبراهيم ولعلّ ذهاب للقزّانة كان بدافع اعتقاد شعبي ، هو أنّ قارئة الفنجان تتطلّع على الغيب وتعلم أمور المستقبل **" كانت هادئة لأنّ قزّانة أي قارئة حظ أنبأتها في الصباح أنّ معجزة ستقع في حياتها التي تتألّم منها كثيرا و أنّ سبب معاناتها سيزول "** [67] ، و آمنت زهرة بذلك لأنّ قارئة الحظ لها مكانتها القيّمة في المجتمع الجزائري .

2-"البوقالة و الفأل" :

تعدّ **"البوقالة"** من مظاهر الفولكلور الشعبي الجزائري وترتبط **"البوقالة"** دائما بالفأل أو النصيب أو المصير وفي الرواية تمّ الإشارة إليها :" **ذات يوم استيقظت إحدى صبايا المنزل التي كانت في سنّ الزواج تطلب فأل خير يحمل لها خبرا عن زواج قريب لقد أكدّت البوقالة في الليلة السابقة على : ماء تحضره البنات في سنّ الزواج ويكشفن فيه أسرار قلوبهنّ ويضعنه قبالة النجوم قبل الذهاب إلى النوم "** [68].

3-المكتوب :

المكتوب هو كل ما كتب عليك أن تعيشه في حياتك والمكتوب مرتبط بالدين الإسلامي ، بمعنى أن الحياة يقررها الله مثلا الزواج أو العمل كلها مكاتيب والشعب الجزائري شعب يؤمن بالمكتوب " آسف عمّي محمد غنّه

[67] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص47.
[68] المصدر نفسه ، ص78.

مكتوب على الجبين والله إنّه مكتوب "[69] هنا يعتذر "**إبراهيم**" من العم " **محمد**" لأنّه رآه وهو سكران فعللّ " **إبراهيم**" سبب سكره بأنّه مكتوب وهذا اعتقاد خطأ لأنّ هناك تصرفات هي من اختيارنا ولابد من تغييرها ولا يجب عدم الاستسلام للذات أو المشاكل وإرجاع سبب فشلنا في الحياة إلى المكتوب.

وكل هذه المعتقدات من "**قزانات و بوقالات و مكاتيب**" تدلّ على أنّ الشعب الجزائري شعب يؤمن بالروحانيات سواء الخاطئة منها أو التي هي على صواب .

د)–المعالم الأثرية :

لكّل بلد معالمه الأثرية التي تعبّر عن تاريخه وعن الشعوب الماضية ، يعبّر أي معلم أثري عن معتقداته وعقلياته وطريقة عيشه التي يمكن فهمها من خلال مسجد أو حفر أو هرم ... في الرواية ذكرت المعالم الدينية بكثرة لأنّ الرواية تتمحور على فكرة العودة لله ومن بين هذه المعالم الأثرية :

1–"مسجد الباي " :

وهو مسجد عريق النشأة له تاريخه ، " **بني المسجد إبّان الخلافة العثمانية ..سميّ بجامع صالح باي نسبة إلى مشيّده حاكم بايلك الشرق الباي صالح بن مصطفى الزميرلي التركي الأصل**" [70]، لقد كان مسجد الباي في الرواية يمثّل حضارة "**بونة** " هذا المسجد الذي أثر في إبراهيم وكان انطلاقته الأولى في حياته الجديدة وذلك عندما ذهب إليه وصار يراقب المصليّن في صلاتهم " **اتجه بعفوية نحو الشمال باتجاه المسجد الذي لاحت له**

[69] المصدر نفسه ، ص33.
[70] .Www.annaba-patrimoin. com

منارته السامقة ..تتبع إبراهيم مشهد صلاة الجماعة الذي كان مألوفا لديه ..رفع إبراهيم يديه متضرعا وقد فاضت عيناه بالدموع " [71] من هذا المكان المقدس تبيّن **لإبراهيم** الطريق المستقيم .

صورة(3)تمثل : مسجد الباي

2–جبل الطّور :

يتميّز جبل الطور بالمكان المقدسة في الفكر والتاريخ الإسلامي ، **{ والطّور(1) وكتاب مسطور(2) في رقّ منشور(3) والبيت المعمور(4)} سورة الطورة الآية من (1–4)** [72]، لقد تمّ ذكر الطور في القرآن الكريم ويعرف الطور بأنّه سيد الجبال وقد أقسم الله به في الآية الكريمة والقسم بالأشياء هو التصريح بشرفها وقدسيتها والطور " **جبل في فلسطين ومنه نودي موسى عليه السلام "** [73] كلمّه الله هناك وهو من البقاع المشرّفة وقد تمّ الإشارة إليه في الرواية كمعلم أثري له قيمته التاريخية والدينية **"بدا وكأنّه جبل ، إنّه جبل الطور أو جبل سيناء حيث تلّقى موسى ألواح الشرع ".**

[71] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص54.
[72] القرآن الكريم ، سورة الطور ، الآية (1-4) .
[73] عبد الواحد الشيخلي ، بلاغة القرآن الكريم ،مكتبة دنديسر ، 2011، ص534.

وعليه فقد دلّ ذكر هذه المعالم الأثرية على مرجعية الكاتب الثقافية ، التي أساسها الدين الإسلامي فالكاتب يتبنّى فكرة الدفاع عن الدين الإسلامي وعن مبادئه ، من خلال توظيفه للتراث الأثري كعلامة ثقافية تعبّر على تاريخ الجزائر الإسلامي العربي ، وتدحض فكرة أنّ الجزائر ذات جذور رومانية كما يزعم المستعمر الفرنسي .

هـ–)الأنا والآخر :

يعرض الكاتب في روايته التنافر الكائن بين الأنا (**الجزائرية**) والآخر (**الفرنسي**) ، ويركزّ على فكرة الاختلاف الديني وقد تجسّد الأنا الجزائري والآخر في الفرنسي في الحوار الذي جرى بين الحجاج والبحّار الفرنسي على سطح العبّارة، "**– أنا أرى أنه لو لم تكن هناك ديانات لما كانت كل هذه الصراعات على الأرض لو كان هناك ربّ حقا لما كان كلّ هذا الظلم وكل هذا البؤس والشقاء** "[74] ، هنا البحّار يفصح عن إلحاده فهو يمثل الآخر وثقافته المادية التي لا تؤمن بالروحانيات ، في هذا الصدد يرد عليه حاجّ من الحجاجّ يجادله في حواره"**– إنّ مصاعب الحياة والصراعات والبؤس ليست وليدة المصادفة ولا من صنع الله ، كلّ هذا هو نتاج المدينة المتحضّرة التي خالفت القوانين الأساسية للسعادة ، أمّا اليوم فهي تحاول تعويضها بقوانين مصطنعة لكن السعادة ليس لها بديل والحقيقة أيضا .. العلوم والسياسة لا يستطيعان أبدا إعادة بناء الأرواح البشرية المحطّمة** "[75] ، وعليه نلاحظ من خلال هذا الحوار أنّ الأنا الجزائرية الإسلامية ، قد انتصرت من خلال حججها المقنعة وبرهنّت على فكرة أنا الجزائر وأوطان المغرب العربي التي عانت من الاستعمار،ليست شعوبا تخضع للتبعية الفكرية إنّما لديها استقلاليتها الشخصية والاجتماعية والثقافية لذلك هي دائما شعوب ثائرة لها خصوصيتها الثقافية التي تدافع عنها دائم.

[74] مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء ، ص106.
[75] المصدر نفسه ، ص107.

4-شعرية الأسماء :

" هناك ثوابت تساهم في تكوين هوية المرء وتطبع شخصيته والتي تأتي كمسبقات في تحديد الشخصية كالاسم والمنشأ أو الجنسية والإقامة والمهنة والوظيفة وسواها من الانتماءات " [76] ، إذن الاسم هو أحد معالم الهوية وهو عبارة عن علامة ثقافية تعبّر عن ثقافة شعب ما ، وعن إيديولوجياته الفكرية وحتى عن تراثه المادي والمعنوي ، ولقد عبّرت الأسماء التي تمّ توظيفها في الرواية عن نسق ثقافي ألا وهو الدين الإسلامي ، هذا الدين الذي يشكّل تراثا وهوية الشعب الجزائري بنسبة كبيرة مقارنة بالأديان الأخرى لذلك كانت الأسماء كالتالي :

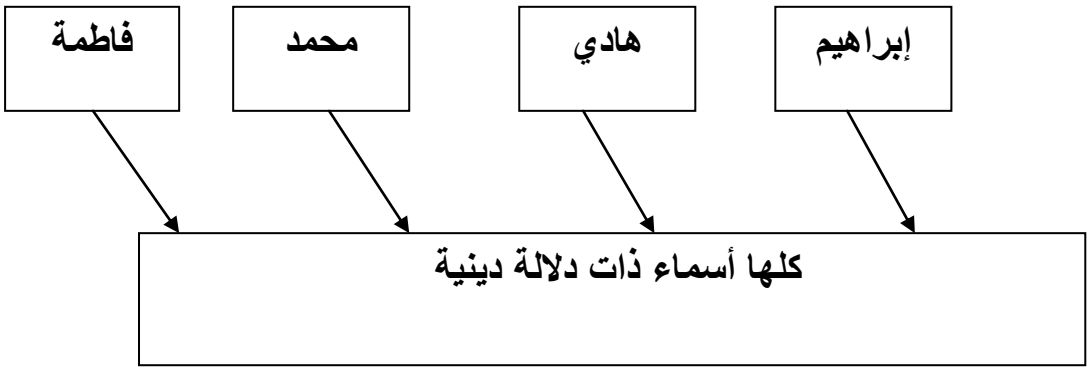

لعلّ توظيفه لاسم **"إبراهيم"** كان عن قصد من الكاتب فهذا الاسم ارتبط بقصة **سيدنا "إبراهيم"** ، فالملاحظ أنّ هذا الشخص الذي حلم بالحجّ وتحقق حلمه ، وكأنّ الكاتب هنا يسقط معاني الأسماء على المصير الحياتي ، وذلك من خلال اسم إبراهيم مثلا هذا الاسم الذي يحمل دلالة العودة إلى الأصل بمعنى إلى البقاع المقدسة فاسم إبراهيم كحمولة تاريخية ثقافية ارتبط بالبيت الحرام في مكة ولعلّ الكاتب اختار هذا الاسم لشخصيته البطلة ليعبّر عن فكرة كل شخصية تأخذ من اسمها نصيبا أو ربّما يكون الاسم اختصارا لأحداث حياة الفرد وعبارة عن علامة تحدد مصيره ، واسم " **هادي**" كذلك لا تفترق دلالته عن دلالة اسم " **إبراهيم**" فمن الضياع إلى الهداية هكذا كان مصير الطفل "**هادي**" والهدوء لما يحمله هذا الاسم من معاني الهدوء والاستقرار ، أما اسم" **محمد**" هو

[76] علي حرب ، خطاب الهوية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ط2 ، لبنان 2008 ، ص203.

الآخر لا يبتعد عن الميدان الديني فقد جسدت الشخصية الحاملة له أخلاق **النبي محمد صلى الله عليه وسلم** ومثلت الضمير الأخلاقي الذي كان له الدور الفعّال في هداية إبراهيم للطريق المستقيم ، أما اسم **فاطمة** كذلك فقد أخذ دلالة الأخلاق الدينية ،أين جسّد هذا الاسم حمولة تاريخية وذلك أنّه يمثل انتسابه **إلى ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاسم فاطمة** في الرواية عكس أخلاق النساء المسلمات اللواتي يقتدين ببنات **الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجاته** ، وربما تذهب دلالة هذه الأسماء إلى ما أبعد حيث يستشرف بها الروائي حسن مصير الجزائر الأخلاقي ، وتشبث شعبها بهويته وتراثه من خلال هذه الأسماء التي ناسبت النزعة التفاؤلية للكاتب "**مالك بن نبي**" ، حول مصير الجزائر المستعمرة جزائر الغد التي تعبّر عن المفهوم الثقافي للثورة .

ختاما نلاحظ أنّ "**بن نبيّ**" قد طرح عدّة مواضيع روايته ، هذه المواضيع عبّرت عن انساق ثقافية مثلّت ثقافة الشعب الجزائري والغرض منها هو الدفاع عن هذه الثقافة من خلال توظيفه للدين منسق ثقافي للباس ، المعالم الأثرية ، الطعام الصراع القائم بين الأنا والآخر هذه العلامات الثقافية التي عبّرت عن التراث والهوية وأنّ الثورة الثقافية لا تقوم إلاّ بالانتباه لقيمتها .

ونستنتج مما سبق عرضه في هذا الفصل :

– أنّ وجوب الثورة الثقافية تستلزم التمسك بما يشكّل الهوية .

– أنّ الشعوب العربية ليست شعوبا خاضعة وتابعة للغرب رغم الاستعمار الذي عانت منه في داخلها رغبة في التغيير ولكن لا تمتلك المنهاج والتسيير الذاتي .

–أوطان المغرب العربي أوطان لها تراثها وتاريخها .

– شعوب العالم المغاربي شعوب رحيمة فيما بينها .

– الحجّ مكان لتلاقي الثقافات والتعرّف على الآخر وبناء علاقات جيدة معه ومع الربّ .

– الدين الإسلامي أنسب الأديان من الناحية الأخلاقية بدليل تغير "**إبراهيم**" من سكيّر إلى مربّي إذ كفل يتيم .

الخاتمة

خاتمة :

فكرة الأنساق الثقافية ميّزت فكر **"بن نبي"** بصفة عامة ، وفي رواية لبيّك حج الفقراء بصفة خاصة ، وذلك من خلال طرح بعض المواضيع الحرجة ، استطاع الكاتب إيصالها على عدّة مستويات من بينها الشخصيات والزمان والمكان والأحداث .. مثل الصراع القائم بين الأنا و الآخر، من خلال تسليط الضوء على المستعمر وسياسيته في الوطن الجزائري وكذلك موضوع التراث والهوية من خلال اللباس الإسلامي والمعالم الأثرية كمجد الباي وجبل الطور و الأطعمة والمعتقدات الشعبية التي تميّز الوطن الجزائري عن غيره ، كالبوقالة والقزانة والفأل كذلك اختياره للأسماء كان خادما لفكرة التمثلات الثقافية فكلّها أسماء دينية خدمت الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها وهو التمسك بتعاليم الدين الجزائري والتمسّك بالجزائر جزائرية لا فرنسية .

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ الكاتب استطاع أنّ يبيّن الصراع الحضاري القائم على إشكالية الهوية بكل ما تحمله من ثقافة تميّزها عن غيرها من الهويات ، طرح الكاتب سؤال هل للجزائر ثقافة تميّزها عن غيرها في ظل الاستعمار الفرنسي ؟ وأجاب عنه في طيات روايته " لبيّك حج الفقراء" من خلال المواضيع التي تمت دراساتها في بحثنا هذا وربّما لم ننتبه للكثير من المواضيع الأخرى ، آملين في الأخير أن تهتم الشريحة القارئة لها المفكر والمهتمة بفكره ، ان تسلّط الضوء على ما نسيناه وما جهلناه .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش .

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

1-مالك بن نبي ، لبيّك حج الفقراء تر: زيدان خوليف ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 2009 .

المراجع :

الكتب :

1-أحمد شوقي ، الشوقيات ، ج1، دار الكتب العلمية ، مصر 1946 .

2-أحمد طالب ، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، 2005.

3-أميرة حلمي مطر ، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس ، دار المعارف ، ط5 ،1984.

4-حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط3، 2003.

5-زايد عبد الصمد ، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1988.

6-شادية شقروش ، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشعب عبد الله ، عالم كتب الحديث ، مصر ، 1994.

7- صالح عبد العزيز ، التربية الحديثة مادتها مبادئها تطبيقاتها العملية ، الجزء الثالث ، ، دار المعارف، د ط ، مصر 1969.

8-عبد الرازق بن عبد المحسن ، دروس عقدية مستفادة من الحج،دار ابن عفان،جمهورية مصر العربية ،ط1، 2000.

9-عبد العزيز بن عثمان التويجري ، التراث والهوية ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيكو- ، الرباط المملكة المغربية.

10-عبد القادر الرباعي جماليات النقد الثقافي نحو رؤية الأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي ، دراسات ، دراسات أحمد خمّال المزاريق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار فارس للنشر والتوزيع ،بيروت ، ط1، 2009.

11-عبد الله الغذامي ، الثقافة التلفزيونية ، سقوط النخبة وبروز الشعبي ، المركز الثقافي العربي المغرب ، ط2، 2005 .

12-عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، قرءة في الأنساق الثقافية ، لمركز الثقافي العربي لدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 2005.

13-عبد الواحد الشيخلي ، بلاغة القرآن الكريم ،مكتبة دنديسر ، 2011.

14-علي حرب ، خطاب الهوية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ط2 ، لبنان 2008.

15-كامل محمد محمد عويضة ، علم النفس بيالشخصية والفكر ، دار المتب العلمية ، بيروت ط1، 1996.

16-لونيس بن علي ، الهوية الثقافية من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري ، دار الألمعية ، ط1 ، 2014 .

17-مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ،دط ، دار الفكر دمشق ،1981.

18-مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ط1 ، دار الإرشاد ، بيروت ، 1969 .

19- مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، ط1 ، دار الفكر دمشق ، 1978 .

20-مالك بن نبي ، تأملات ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 2002.

21-مالك بن نبي ، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن اعشرين ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1991.

22-مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، دط ، دار الفكر ، دمشق ، 1986.

23-مالك بن نبي ، من أجل التغيير ، ط4 ، دار الفكر ، دمشق ، 2005.

24-مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دط ، دار الفكر دمشق ، 1985.

25-محمد بن فهد بن إبراهيم الودعان ، ضوابط الرؤيا ، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ط1، 2007.

26-محمد سهيل طقّوش ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النفائس ، بيروت ، ط1، 2009.

27-محمد عمارة ، تحرر المرأة بين الغرب والإسلام مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 2009.

28-نادر أحمد عبد الحق ، الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية ، دار العلم والإيمان ، ط1 ، 2009.

29-هاني الخيّر ، أحمد مطر شاعر المنفى واللحظة الخارقة دار فليتس للنشروالتوزيع ، الجزائر وزارة الثقافة ، 2009 .

المراجع الأجنبية المترجمة :

1-تزيفطان تودوروف ، مفاهيم سردية ، تر: عبد الرحمان مزيان ، منشورات الأختلاف ، ط1 ، 2005.

2-جيرار جينيت ، طروس "الأدب على الأب " ، ضمن كتابات دراسات في النص و التناصية ، تر : محمد خير البقاعي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط1 ، 1998.

3- دنيس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، تر: منير السّعيداني ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،2007.

مذكرات التخرّج :

1-زينب قدوش ، ترجمة العنوان الروائي بين الدلالة والإشهار ، مذكرة ماجستير جامعة وهران أحمد بن بلة 1 معهد الترجمة ، 2014 -2015

المواقع الإلكترونية :

Www.alhayat.com
Www.aljazairalyoum.com
Www.almasryalyoum.com
Www.almothaqaf.com
Www.annaba-patrimoin.com

الحوليات والدوريات :

1 - نبيلة وحدي، العمل والقيم إشكالية الالتزام، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ب/ قسم الآداب والفلسفة ، العدد 12 -جوان-2014

2- مبروك عيسلى ، تعالقات العنوان الرئيس بالعتبات الموازية في ديوان "كل هذه التفاصيل " ، لإبراهيم موسى النحاس ، حوليات الأداب واللغات ، المجلد 05 العدد 11 ، كلية الآداب واللغات الشرقية جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر ماي 2018.

المعاجم والقواميس :

1-أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ط1 ،ج1 ، دار إحياء التراث العربي ، 1999، ص112.
2- المنجد في اللغة والأعلام ، ط40 ، دار المشرق ، بيروت ، 2003 .

فهرس
الموضوعات

الفهرس :

مقدمة .....أ

مدخل : مالك بن نبي حياته وفكره 1

1)حياة مالك بن نبي بين النشأة الاجتماعية والفكرية 1

1)التنشئة الاجتماعية 1

2)التنشئة التعليمية.....5

الفصل الأول : بين الثقافة والثورة في فكر مالك بن نبي 13

1)مفهوم الثقافة عامة 13

2)مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي.....15

3)مفهوم الثورة من منظور مالك بن نبي.....27

الفصل الثاني : التمثلات الثقافية كمعادل ثوري نهضوي 37

1)الأنساق الثقافية على مستوى العتبات النّصية 38

2) الأنساق الثقافية على مستوى المتن.....45

3-قدسية الحلم.....63

4-الهوية والتراث كنسق ثقافي..... 65

5-شعرية الأسماء.....71

خاتمة .....د

قائمة المصادر والمراجع 74

فهرس الموضوعات 78

تلخيص :

تعدّ الثقافة أهم ما يميّز المجتمع الإنساني عن المجتمع الحيواني ، وتتعدد بدورها وتختلف من مجتمع إلى آخر ، وبالثقافة يستطيع المجتمع أن ينهض ويكون مجتمعا حضاريا مستقلا ثقافيا عن غيره من المجتمعات ، اختصر **"بن نبيّ"** هذه الأهمية في عمل إبداعي كان على شكل رواية عبّرت عن الثقافة الجزائرية وضرورة التمسّك بها والمحافظة عليها رغم ما يتعرض له الوطن من استعمار ، رواية تحدّثت عن أجواء الثورة الجزائرية اجتماعيا ، ثقافيا و سياسيا عبارة عن رحلة روحية تظهر سيماتها من العنوان " **لبيّك حجّ الفقراء**" أراد الكاتب إيصال عدّة إيديولوجياته من خلالها ، أهمها أنّ الدين عنصر أساسي في تكوين الثقافة الجزائرية يجب الحفاظ عليه .

Résumé:

La culture est l'ensemble des connaissances , des svoir-faire , des tradition , des coutumes propres à un group humain , à un civilisation ,elle se transment socialement , de génération en génération et non par l'héritage génétique ,et conditionne en grand **partie les** comportements individuels

Abstract:

Culture is the characteristics and knowledge of a particular group of people ,encompassing , language , religion , social habits what wear ,how we wear ,..it is a word for the way of life of group of people , a culture is passed on the next generation by learning ,by writing , by clothes , by cooking ..in this search we are speaking about "**Malik Binnabi**" how he wrote about culture and Islamic civilization, he wrote a novel **"pilgrimage of the poor**" ," **labbayka hajj al fuqara** " , it is talking about pilgrminge , it is spiritual journey ,a novel invites for high ethics.